القوي الذي رحم الضعفاء

الدكتور محمد ابو شهبه

لم تعرف الدنيا قويا بكل ما تحتمله كلمة «القوة» من معان، رحم الضعفاء بكل ما تحتمله كلمة الضعف من معان مثل ما عرفت ذلك لسيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذه دعوى تحتاج الى دليل واجمال تفصيل ، واليكم أكثر من دليل في هذا التفصيل ٠

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قويا في نسبة، وقويا في شرفه وقويا في جسمه قوة لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، وليس أدل على هذه القوة الفائقة مما رواه الرواة من قصة ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصى ٠ يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف قالوا : قدم ركانة من سفر فأخبر خبر النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه في بعض جبال مكة فقال : يا ابن أخي بلغني عنك شيء (١) ،فان صرعتني علمت أنك صادق ، فصارعه فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ركانة ، قيل عقب هذه المصارعة ، وقيل يوم الفتح ، وقد روى قصة ركانة هذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود الترمذي ،ولكن قال الترمذي :اسناده ليس بقائم ، ومثل هذا مما لايستدل به على حلال أو حرام لا يشترط فيه الصحة أو الحسن بل يكتفي فيه الصحة أو الحسن بل يكتفي بما فيه ضعف أو في اسناده مقال لبعض النقاد ويسمى علماء «أصول الحديث »هذا بالضعف المحتمل ، وأما الضعف الشديد فهذا لايؤخذ به في الفضائل فضلا عن الحلال والحرام ، والضعف المحتمل اذا كانت له شواهد ،أو روى من طرق عدة مثله أو أقوى منه ارتقى الى درجة الحسن لغيره وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة حتى يكون الكاتبون والمحاضرون على بينة من هذا حينما يستشهدون،ويستدلون كرامة لا في الفضائل ، ولا في القصص ، فضلا عن الحلال ببعض الاحاديث ، أما الموضوع المختلق فلا يؤخذ به ولا والحرام ، على من يستشهد أو يستدل بحديث أو أثر عن الصحابة ٠ التابعين أن يتأكد من درجته صحة ، او حسنا ، أو ضعفا ، فان كان غير عارف فليسأل أهل العلم بالحديث والا كان مأزورا بتقصير وان كان عارفا فاثمة أكبر ، وذنبه أعظم وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار _ رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما ، وهو حديث متواتر لفظا ومعنى ٠

وكان صلى الله عليه وسلم قويا في عقله ، وقويا في

عقيدته ، وقويا في علمه ، وفي عمله وقويا خلقه ودلائل هذه القوة الاصيلة الجذور ، المتشعبة الفروع من القرآن والسنة والسيرة النبوية أكثر من أن تحصى (٢) .

والمراد بالضعفاء : الضعفاء في أجسامهم ، الضعفاء في جاههم ، والضعفاء في انسابهم وشرفهم والضعفاء في عقولهم، والضعفاء في أخلاقهم وسلوكهم ، وأعمالهم ، والضعفاء في قلوبهم ، والضعفاء أمام أنفسهم ، وتجاه أهوائهم وشهواتهم والضعفاء في شخصياتهم فهؤلاء وامثالهم وجدوا من القوى المرؤوف الرحيم، رحمة لم يجدوها عند غيره من البشر ايا كان هذا البشر وعطفا عليهم لم يجدوه عند غيره ، وبرا بهم لم يجدوه عند غيره وقبولا لاعزارهم ، بل والتماسا لمعاذيرهم لم يجدوه عند غيره .

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية في الرحمة حينما قال « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون » . رواه الترمذي وابن ماجه بسند قوي ، فقد فتح بقوله هذا ابواب الرحمة ، وأبواب التوبة للعصاة والمذنبين ، وليس أحب الي المذنبين من فتح أبواب التوبة لهم ، ولا آلم لهم من التيئيس ، والتنيقط من رحمة الله تبارك وتعالى ، وقد روى الامام مسلم قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين ، ثم جاء الى أحد علمائهم ليسأله هل له من توبة ، فآيسه وقنطه ، فما كان منه الا أن قتله وأكمل به المائة ! ثم قبل الله توبته .

واليكم بعض المثل العليا التي زخرت بها السيرة النبوية .

١ ـ في السنة الثامنة نقضت قريش العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلوات الله عليه وسلم ، فلم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ، الا أن يغزوهم في عقر دارهم ، فعزم على فتح مكة بلد الله الحرام ، ولم يلبث أن أخذ في التجهيز للخروج الى مكة ، وأذن في الناس بالتجهيز وأخفى مقصده بهذا التجهيز والدعوة اليه الا عن بعض خاصته من كبار الصحابة كالصديق ابي بكر ، وعمر ونحوهما ، فلما تجمعت الجموع وتهيأت للمسير اخبرهم بمقصده وقال ـ اللهم خذ العيون ، والاخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها ـ ، لانه صلى الله عليه وسلم كان حريصا على عدم اراقة الدماء في بلد الله الحرام الذي حرم الله القتل والقتال من يوم ان خلق الله السموات والارضين .

كتاب سيدنا حاطب بن ابي بلتعة الى قريش :

ولما اجمع النبي صلى الله عليه وسلم المسير الى مكة كتب حاطب كتابا يخبر فيه زعماء قريش بالذي اجمع عليه الرسول ثم اعطاه مولاه لبعض بني عبد المطلب تسمى ـ سارة ـ وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في عقاص شعرها ، ثم خرجت به فاذا الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما صنع حاطب ، فبعث عليا والزبير والمقداد ، وقال : انطلقوا حتى تأتوا « روضة خاخ »(٣) فان بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها فانطلقوا تتعادى بهم خيلهم ، حتى ادركوها ، فقالوا لها : اخرجي الكتاب ، فقالت ليس معي كتاب ! فقالوا لها : لتخرجن الكتاب ، او لنكشفن الثياب ، فخافت واخرجته من عقاصها فأتوا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : « يا معشر قريش ، فان رسول الله جاءكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله ، وانجز له وعده ، فانظروا لانفسكم والسلام (٤) .

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لحاطب :

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ يا حاطب ما هذا ؟ـ فقال يا رسول الله لا تعجل على اني كنت امرأ ملصقا في قريش ـ يعني حليفا ـ ولم يكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم ، واموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي بها ولم افعله ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال الرسول العظيم : (اما أنه قد صدقكم) ! فقال عمر : يا رسول الله دعني ، اضرب عنق هذا المنافق ، فقال الرسول العظيم : (انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا) ، فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ! فبكى عمر وقال : الله ورسوله اعلم ! .

فأنزل الله هذا التأديب الالهي وهو صدر سورة الممتحنة قال تعالى :

« **يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول ، واياكم ، ان تؤمنوا (٥) بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي ، وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة ، وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير »(٦) .**

العظيم حقا من يرحم الضعفاء :

وان لنا هنا لوقفة ، فما كان حاطب منافقا، ولا ضعيف

الايمان ، بتزكية الرسول له ، ولكن في النفس الانسانية جوانب ضعف تطغى عليها في بعض الاحيان ، وتهوى بها الى ما لا ترضاه لنفسها ، وكل بني ادم خطاء ، وما كان هذا الضعف الانساني ليخفى على صاحب القلب الكبير ، والقوي الامين ، وصاحب الخلق العظيم ، فلا تعجب اذا كان الرسول صدقه فيما قال ، ورحم ضعفه ، بل ونافح عنه ، والقوي حقا هو الذي يرحم الضعفاء ، والعظيم حقا هو الذي يلتمس المعاذير لمن يستزلهم الشيطان ، في عفوة من صدق الايمان، ووازع الضمير ..

٢ ـ ومما يروى في هذا الباب ما روي انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل ذات يوم ، فأصابت الرجل من هيبته وقوة شخصيته رعدة !! مع انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يحيط به الخدم ولا الجنود المدججون بالسلاح ولا كانت في مجلسه مظاهر الكسروية ، ولا ابهة الملك ، ولا فخفخة الرياسة ، فقال للرجل : هون عليك ، فاني لست بملك ، وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد(٧) نعم الله ـ الله ـ انا ابن امرأة تأكل القديد كما انك ابن امرأة ، فكلانا بشر ، وكلانا عبد الله ، ولست الها ، ولا ابن الله كما زعم النصارى في عيسى ، ولا ابن ملك متجبر !!

وكان صلى الله عليه وسلم تقابله المرأة او الخادم في سكة من سكك المدينة ، فتستوقفه ، فيقف لها حتى يقضي لها حاجتها ، روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن انس رضي الله عنه قال : (ان كانت الامة ـ الجارية ـ من اماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنطلق به حتى يقضي حاجتها) وذلك لانه صلى الله عليه وسلم يعلم أن لهؤلاء الجواري والاماء حاجات وحاجات ، وانهن ضعيفات ومن شأن الضعيفات استهانة الناس بحقوقهن ، ولكن العظيم صاحب الخلق العظيم كان ارعى الناس لحقوق الضعفاء والضعيفات .

٤ ـ روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن مصعب ابن سعد قال : **رأى سعد رضي الله عنه له فضلا على من** من دونه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (هل تنصرون ، وترزقون الا بضعفائكم)(٨) وهذا الحديث مرسل في الظاهر(٩) ولكنه متصل في الواقع ونفس ولولا هذا لما أخرجه الامام البخاري في صحيحه ، لانه لايخرج فيه الا الاحاديث المسندة المتصلة وقد جاء الرفع صريحا فقد اخرجه الاسماعيلي في (مستخرجه) فصرح فيه بسماع مصعب عن ابيه سعد ، ولكنه اقتصر على المرفوع وهو قوله صلى الله عليه وسلم (هل تنصرون ...) ورواه الامام النسائي بسنده عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه بلفظ (أن سعدا ظن ان له فضلا على من دونه ..) الحديث، وله ما يشهد له فيما رواه الامام احمد والنسائي عن ابي الدرداء مرفوعا ولفظه (انما تنصرون وترزقون بضعفائكم) .

وذلك لان الضعفاء اشد اخلاصا في الدعاء ، واكثر خشوعا في العبادة واقرب من غيرهم صلة بالله تعالى ، وقد اراد الرسول المؤدب ، والعلم وذو الخلق العظيم بمقالته تلك للبطل سعد بن ابي وقاص ان يحمله على التواضع ، وعدم الزهو بقوته وشجاعته ، لما ظن او اعتقد ان له فضلا على الناس يعني الضعفاء منهم بشجاعته ، وقوته وبطولته ،وهذا لون من الوان التديب والتربية للصحابة ، وكأنه صلى الله عليه وسلم قال : ان كان القوي الشجاع يترجح على غيره بفضل شجاعته فان الضعيف يترجح بفضل دعائه ، واخلاصه وان لله رحمات ، واحق الناس بها الضعفاء .

لقد وقفت طويلا عند هذا الحديث النبوي الشريف وهذا التأديب النبوي الكريم الذي زادني ايمانا ويقينا ان الاسلام دين الهي حقا ، وليس من صنع بشر ، وانما هو وحي الهي من عند ارحم الرحماء ولا سيما بالعجزة والضعفاء .

ان بعض الفلاسفة القدماء والمحدثين بنوا فلسفتهم على القوة وانه لا مكان للضعفاء في المجتمع وكذلك بعض المذاهب الباطلة كالشيوعية ، لا تعرف الا القوة ، والانتاج ، وترى ان الضعفاء والعجزة ليس لهم مكان في الحياة ولا حق في الانتاج ، ما داموا لا ينتجون كأن الانسان عندهم آلة صماء ، ان ادت مهمتها اعتنى بها صاحبها والا القي بها في العراء لانها صارت من سقط المتاع .

وقد سما النبي صلى الله عليه وسلم بالانسان ولا سيما الانسان المؤمن الى اقصى درجات الانسانية حين بين ان الضعفاء لهم مكانتهم في الحياة ومنزلتهم في المجتمع وانهم ان لم يفيدوا بقوتهم وشجاعتهم في الحروب فانهم يفيدون بعبادتهم ودعائهم فان فضل القوي بقوته وعمله والشجاع بشجاعته والماهر

في الصناعة واعداد العدة للقتال بصناعته فقد فضل الضعيف المؤمن المخلص باخلاصه ، وعبادته ودعائه وشدة صلته بربه وقد يخطىء خطأ فاحشا من يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا يدعو الى الضعف كلا وحاشا ٠

اذ هو القائل : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير » رواه مسلم ، وهو القائل « واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » رواه البخاري ولكن النبي الرؤوف الرحيم اراد أن يبين أن للضعفاء صحة أو مالا ، والخاملين بين الناس ٠٠ مكانهم في المجتمع الاسلامي وما دام الله هو الذي خلقهم فلهم حقهم في الحياة كغيرهم سواء بسواء وان لله رحمة واحق الناس بهذه الرحمة الضعفاء وان الله هو الذي كرم الانسان فعلينا ان نكرمه قال عز شأنه : « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(١٠) ٠

وبذلك الكلام الحكيم من الرسول صلى الله عليه وسلم سما الاسلام على كل الفلسفات والمذاهب المادية التي كادت تسود العالم اليوم ، ويزداد النبي صلى الله عليه وسلم سموا على كل بشر مهما كان اذا علمنا انه لم يكن ضعيفا قط والا لقال الحاقدون : ضعيف يرحم الضعفاء لانه لم يعرف في البشر قويا يرحم الضعفاء الا نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ، ولا يكاد يختلف اثنان في انه صلى الله عليه وسلم كان اقوى الاقوياء ٠

ان هذه الكلمة على ايجازها وغيرها مما هو على شاكلتها لتعتبر آية اخرى الى الايات الدالة على صدقه فاعتبروا يا اولي الابصار وهناك مثل اخرى كثيرة في سيرته صلى الله عليه وسلم تدل على رحمته بالضعفاء يطول المقال لو استقصيناها ٠

وقد شملت رحمته بالضعفاء الحيوان والطير فقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان له ديك مرض فقام على تمريضه ورعايته وكانت تأتي الهرة تريد ان تشرب من الاناء فلا تستطيع ، فيصفيه(١١) لها حتى تشرب وتهنأ ٠

وهو القائل : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاش(١٢) الارض » رواه الشيخان ، وهو القائل « لعن الله من اتخذ الحيوان غرضا(١٣) والقائل « في كل كبد رطبة اجر » جوابا لمن سأله أن لنا في البهائم لاجرا ؟ رواهما الشيخان ، وهو القائل « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وشملت رحمته الجن والانس قال عز شأنه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »(١٤) ٠

وبعد فهذه باقة عطرة من الرياحين الشذية اقدمها الى المسلمين في كل مكان ، في شهر الذكريات الخالدة في شهر الميلاد المجيد ، ميلاد نبي البشرية سيدنا محمد صلوات الله عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم هاجر ويوم جاور الرفيق الاعلى ويوم الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والاخرون ٠

الدكتور محمد محمد او شهبة

---

١ ـ كان ركانة أسن من النبي ، وهو في شجرة الانتساب الى عبد مناف في درجة والد النبي عبد الله فهو عبد لله بن عبد المطلب بن هاشم ، بن عبد مناف ، والمطلب في نسب ركانة هو أخو هاشم جد النبي والمراد من قوله شيء ، يريد النبوة .

٢ ـ راجع السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، ج ٢ ، من ٤٩٢ ـ ٥٤٧ .

٣ ـ مكان بين المدينة ومكة ٠

٤ ـ وروى هذا الكتاب بصيغ اخرى ٠

٥ ـ اي لا تؤمنوا بالله ربكم يعني لا سبب للاخراج الا ايمانكم ٠

٦ ـ سورة المتحنة ١ ـ ٣ ٠

٧ ـ القديد : هو اللحم المقدد اي المشقق المجفف بالشمس ٠

٨ ـ هل هنا بمعنى ـ ما ـ النافية يعني ـ ما تنصرون وترزقون ـ٠

٩ ـ المرسل : هو ما حذف منه الصحابي وذلك لان مصعبا من التابعين وابوه سعد من خيار الصحابة السابقين فما رواه التابعي من غير ذكر الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمى مرسلا لانه أطلق عن التقييد بالصحابي ٠

١٠ ـ الاسراء ٧٠ ٠

١١ ـ يمليه ٠

١٢ ـ حشراتها

١٣ ـ اي مرمى يتعلم فيه الرمي

١٤ ـ الانبياء ١٠٧ ٠

اللغة العربية الفصحى

اسباب انحدارها وعوامل النهوض بها

الدكتور فخر الدين قباوه

استاذ علوم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة حلب

نحن ، ابناء العرب في المشرق والمغرب نعاني كثيرا من الالام المشتركة ، ونحس بحاجة الى التعاون على معالجتهاللتخلص من ذيول التخلف المرير · وبعض هذه الالام عميق الجذور في نفوسنا ، خطير الاثر في حاضرنا ومستقبلنا ، بعيد المدى في تكويننا الحضاري والانساني ، يكاد يستعصي على التقويم والاصلاح·

ولعل من ابرز هذه الالام المستعصية ما تنوء به لغتنا العربية الفصحى· فنحن مدرسين وادباء وعلماء · كثيرا ما نشكو مما آلت اليه هذه اللغة في ديار العرب · انها تعيش حبيس بعض الدوائر الصغرى من حياتنا العلمية ، ولاتستطيع أن تتنفس في كل ميدان ، وعلى كل قلم ولسان · بل ان اكثر المثقفين ومدعي العلم والادب ليعجز ان يتمثل هذه اللغة المباركة في نشاطه وانتاجه ، فيضب عليها سخطه وغضبه ، ويرى النجاة من عثراته في التفلت من أحكام العربية وقواعدها لينطلق في متاهات العجمة والضلال · حتى لقداصبح من اشيع المبادىءواروجها أن تتسلل اصابع العامية والاعجمية الى لغة العلماء والادباء ، بله الدارسين والمتأدبين ·

العامية والثقافة

واننا لا ننكر أن تكون اللهجات العامية ، في بلاد العرب ، قد دخل عليها تحسن ملموس في هذا القرن ، بعد جلاء دول الاحتلال والاستعمار ، فارتفعت من حضيض العجمة المغرقة الى مستوى يتصل ببعض مظاهر الفصحى واساليبها · وقد ساعد في ذلك على انحسار اللغات الاعجمية التي كانت مستبدة بالثقافة والتعليم والتوجيه ، وتقلص رقعة الامية في المجتمع العربي · ولذا اصبحت ترى اللهجات المحلية تغزوها كلمات فصيحة ، وجمل عربية ، وعبارات قريبة جدا من الفصحى ·

ولعل هذه الظاهرة قد ضللت بعض الباحثين ، فباتوا يرون ان مشكلة اللغة امرها يسير ، وانها قضية اجتماعية ثقافية ، علاجها محو الامية ونشر التعليم والثقافة ·

انحدار الفصحى

والحق ان ارتفاع مستوى العامية واكبه انحدار لغة العلم والادب ، وتدني اساليبها ومفرداتها ، كتابة وقراءة واداء واذا قدر لنا ان نسير في هذا الاتجاه مراحل اخرى فان اللغة الفصحى ستصبح ، بلا شك ، في خطر محقق ينذر بالفناء والضياع · فاللهجات العامية ، وهي تعارض الفصحى وتستقي منها ، تنقل اليها بعض تعابيرها وكلماتها على ألسنة المثقفين واقلامهم ، فتشدها الى ميادين غريبة تهدد بالاضمحلال والاندثار ·

ولهذا اصبح ضعف اللغة العربية في صفوف المثقفين والمتعلمين ظاهرة ملحوظة تزداد قوة يوما بعد يوم · فقد كان هؤلاء في عهود الاحتلال والاستعمار اشد حرصا على فصاحة الكلمة ، وبلاغة العبارة ، والاستقاء من ينابيع البيان العربي الاصيل ، والاعراض عن رطانة الاعاجم وسفساف العامة · اما اليوم فقد اصبحنا نراهم ينزلقون الى مهاوي العجمة العامة واللهجات المحلية ، فيستمدون منها عامدين او غافلين كثيرا من مادة نتاجهم الادبي والعلمي · **وانت ترى هذا الخطر يتفاقم مع الايام حتى ليكاد يشكل عثرة ازلية** ، ومعضلة ابدية في طريق الامة نحو اكتشاف ذاتها ، وتحديد سبيل الحياة الكريمة المطمئنة · انها ليست مسألة لغوية اجتماعية فحسب ، وانما هي داء نفسي وعقلي وعلمي ، يهدد مقومات العرب وحضارتهم ووجودهم في الحاضر والمستقبل ·

واذا حاولنا أن نتلمس بوادر هذا الداء ، ونتتبع اصوله ومصادره ، لنضع ايدينا على الاسباب التي ولدته ورعت

نموه وتطوره ، استوقفتنا نقاط كثيرة متداخلة ، يتعذر حصرها وتحديد ملامح كل منها •

وحسبنا ان نذكر هاهنا ابرزها واخطرها •

ثنائية لغوية

ونعني بالثنائية اللغوية هذا التداخل العجيب بين الفصحى واللهجات الدارجة يستخدمها كل عربي ، مثقفا كان ام اميا • فهو يتلقى في طفولته الاولى لهجة عامية متهافتة ، ويزود بها في البيت ثم في الشارع والنادي والملعب والملهى ، وسائر مصادر الثقافة الشعبية • بل انه يتعلم بعضها أيضا في المدرسة والمعهد والجامعة ، ومن المذياع والصحافة والتلفاز ، ويمارسها في جميع شؤون حياته تفكيرا وتعبيرا • حتى اذا درس اللغة الفصحى قدمت اليه مثقلة بأوزار العامية وما تحمله من اثار محلية واعجمية تستبد بفكره ولسانه وقلمه ، وتغمر تلك الشذرات الفصحى ، وتفسد مدلولها وغاياتها التي ترمي اليها • فاذا اراد الكتابة ، بعد هذا ، او النظم او القراءة في محفل قام في نفسه صراع خفي بين قوتين متدافعتين متناقضتين ، احداهما تجره الى الكثرة المفرطة التي غمرته بها بيئته ، والاخرى تشده الى بوارق غائمة مما زودته بعض المصادر العربية الاصلية • فاذا هو يعاني عنفوان الصراع ، ويدفع نفسه جاهدا ليرتفع بها الى اصالة اللغة وصفائها ، ولكنه يجابه بسلطان العامية المسيطرة على ثقافته وقدراته ، وبتفلت زمام الفصحى من يديه فينهار امام القوة الكبرى ، ويستسلم لتيارات اللهجات الدارجة ، تتخلل لغته فتفسدها او تطغى عليها •

لغة هجينة

وقد كان لهذا الرجحان عوامل مساعدة متناثرة ، اظهرها وابلغها تسلط الاعاجم على البلاد العربية برجالهم وثقافتهم وحضاراتهم ولغاتهم • فقد عشنا قرونا متوالية عبيدا او كالعبيد ، لسلطان الاعاجم مماليك وعثمانيين وبربرا وفرنجة ، فاضمحل التيه العربي ، وذاب الاعتداد بالنفس واللغة والدين والتاريخ ليحل محله الانبهار بالعجمة وزخارفها ، والاستسلام لبهرج التقليد والانحدار ، والتردي في احضان الصغار • حتى ان كثيرا من ابنائنا اصبحوا ينظرون الى الفرنجة ولغاتهم وثقافتهم بعين الاكبار والاجلال ، ويرون الحضارة الاسلامية واللغة العربية اقل من تملأ قلوبنا وعقولنا ، وتثمر واقعا يمهد للنمو والتحرر والتقدم • ولذا يطالعنا بين حين واخر تعشق ابناء العروبة للغات الاعاجم واخلاقهم ، وتفاخرهم باستخدام اللغات الهجينة في كلمات او عبارات او جمل ، واعراضهم عن البيان العربي تحت وطأة الضعف اللغوي الذي يعانون والانهيار النفسي الذي يكابدون •

صحيح ان اللهجات الدارجة هي في الاصل تشويه للعربية الفصحى • وصحيح ايضا ان هذا التشويه لم يكن للاحتلال والاستعمار يد في غرس جذوره وانه نشأ وتولد من مصادر ثلاثة : انتشار الموالي والمولدين ، واستلطاف لكنه الاطفال والاعاجم ، والاعراض عن فحولة الكلام وفصاحته ، بما جبل عليه الانسان من اخلاد الى السهل الميسور ، وتفلت من قيود القوانين الحازمة • ولكننا لا نستطيع ان نغفل الاثار التي كانت للمحتلين والمستعمرين في تعميق هذا الاتجاه ، ورعايته ، ودفعه نحو الرسوخ والاستمرار •

وقد ساعد على ترجيح كفة العامية وتثبيت دعائمها واستحكام سلطانها ، ان النتاج العلمي والادبي الذي اصدره العرب والمستعربون في هذا العصر كان مصبوغا بألوان هجينة مهلهلة ركيكة ، اقبل عليها المثقفون والمتعلمون ، فرسخت في اذهانهم والسنتهم تلك الرطانة ، ودمرت ما بقي من فلول العربية الفصحى واذا خلا الكتاب او الصحيفة من الركاكة والهجنة لم يكن في مستوى لغوي رائق ، وكثرت فيه الاخطاء والسقطات ، ولم يحظ بالضبط المناسب للحروف ، فكانت قراءته تزيد المثقفين ضعفا وانحدارا •

مناهج قلقة :

والسبب الثاني الخطير في انحدار العربية الفصحى هو اضطراب التعليم في الوطن العربي • ونعني به ما يسود المناهج الدراسية ، والسياسة التعليمية ، واساليب التربية والتعليم ، وشخصيات المعلمين ، من فوضى وقلق واضمحلال •

فالمناهج ، ولا سيما مناهج اللغة العربية ، لم تستطع ان تجد لها بعد الاستقلال مستقرا واضح المعالم ، جلي الهدف ، ناجح الوسائل ، تنطلق فيه من مراحل العبودية والاستعمار الى فسحة التحرر والبناء • وما زالت حتى يومنا هذا تتخبط بين مد وجزر ، وتنتقل من سيء الى اسوأ • فالمسؤولون يتعاورون هذه المناهج ، ويتصرفون فيها كل بحسب ما تمليه عليه اوهامه ونظراته المرتجلة فيكون تقلقل وتغيرات مستمرة ليس لها ضابط هادف ، او روح عامة موحدة •

العلوم الانسانية

والسياسة التعليمية في الوطن العربي ليس فيها وضوح يصل مراحل التعليم بعضها ببعض ، ويجعل كلا منها متمما لما قبله وبعده • وهي ما تزال تجاهر بالتنكر للعلوم الانسانية ، والتشجيع للعلوم الطبيعية • وقد ادى هذا ، بلا شك ، الى تضعضع مكانة اللغة العربية وما يدور في فلكها من علم وفن • ولهذا ترى جمهور الطلاب ، والمتفوقين منهم بخاصة ، ينصرفون بجهودهم الى دراسة الطب والهندسة والعلوم التطبيقية ، ويعرضون عن تجنيد انفسهم وكفاءاتهم لخدمة العربية ، فتفقد بذلك عقولا فتية وقلوبا متعطشة ، وقدرات هائلة ، ونفوسا مندفعة نحو الابداع والانتاج •

التعليم بالعامية :

واساليب التعليم عندنا تغفل اللغة

الفصحى ، وتجيز للمعلمين ان ينقلوا العلوم والفنون باللهجات المحلية الدارجة بل انها لتفرض احيانا ان يدرسوا بعضها باللغات الاعجمية · وكثيرا ما تنقل اللغة العربية الفصحى الى الطلاب بأساليب عامية او شبه عامية ، فتدخل عقولهم ، وترسخ في السنتهم هجينة شوهاء · اضف الى هذا ان القراءة الصامتة والجهرية تشجع الطلاب ، في شكلها المتبع اليوم ، على اهمال الفصحى والتنكر لها ، واتقان الاساليب العامية في التعبير واللفظ والاداء · وبهذا يقوم في نفوس الناشئة انفصال كبير بين العلم والثقافة والخبرة من جهة ، واللغة العربية الفصحى من جهة ثانية · فاذا ارادوا نقل ما في نفوسهم ، من تجارب وخبرات وعواطف واخيلة ، لم يجدوا غير العامية او الاعجمية سبيلا ·

اختبار الذاكرة :

والامتحانات ، على ما فيها من عناية بالعربية ، لم تعط اللغة الفصحى حقها من التقويم والتقدير · فكلنا يعلم ما تظهره مؤسسات التعليم من شروط خاصة لنجاح الطلاب في مواد اللغة العربية

بل في نجاحهم العام الذي يرتبط بتلك المواد · وكلنا يعلم ايضا ان تلك المظاهر جوف سطحية ، لا تدعمها اسس علمية تخدم تمكين الفصحى وسيادتها ·

فالامتحان التحريري يجوز فيه كل تعبير ، وتغتفر فيه اكبر الاخطاء واشنع التراكيب ، ويكتفى فيه بأداء المعلومات دون النظر الى اللغة التي ادتها وعبرت عنها · ثم تكون المساعدات تلو المساعدات لانقاذ الراسبين ، ودفعهم الى الصفوف التالية او الجامعة او الشارع والامتحان الشفهي او العملي ليس له كبير اهتمام باللغة ، وحسب الناجح فيه ان يجتاز مقاييس اختبار الذاكرة والذكاء والاداء ·

قدرة هزيلة

وشخصيات المعلمين لدينا ينقصها الوعي اللغوي والاجتماعي ، وتشغلها حاجات الحياة بأثقالها وهمومها · فالمعلمون في المدارس الابتدائية ، والمدرسون في المدارس الاعدادية والثانوية والمعاهد ، والاساتذة في الجامعات ، عندهم كثير من الرواسب اللغوية المختلفة التي تزيد اللهجات العامية قوة ونماء · ومدرس العربية خاصة يمثل في نظر الطلاب ، صورة الجمود والجفاف والتعصب ، لانه لم يحظ بالثقافة الواعية ، واللغة العملية

الرشيقة ، والنظرة السليمة الى دور اللغة في التعليم ، وقدرتها على النمو واستيعاب حاجات الامة في مراحل حياتها المختلفة · ورجال التعليم عامة يعيشون في بؤس وفاقة ، يعانون مرارة الحاجة والحرمان فلا يجدون فرصة سانحة للنهوض بأنفسهم وطلابهم · وحسبهم أن يرمموا بعض الثغرات المتقادمة · ويقدموا الى الامة اجيالا من العقول المثقلة ، والقلوب العازفة عن فصاحة العربية وادبها وعلومها وفنونها ·

اضف الى هذا ان كثيرا من رجال التربية والتعليم يصل الى منصبه ، ويتسلم زمام التوجيه والقيادة ، بشهادة شكلية من احدى الجامعات · او احد المعاهد او الاحزاب ، وليس لديه من الكفايات والامكانات ما يرشحه لهذا العمل الخطير ·

فاذا علمنا ان مهمة المعلم تربوية قبل ان تكون تعليمية ، وانه لا يستطيع أن يقوم بها بنجاح الا حين يسيطر على قلوب طلابهم وعقولهم ، وينال ثقتهم وتقديرهم لشخصيته وكفاياته ، ويجعلهم ينظرون اليه نظرة الاعجاب والتقليد·· اذا علمنا هذا كله علمنا اية جريمة نقترفها حين نهمل شخصية معلم العربية وغيرها · ونضع امام ابنائنا قدوة هزيلة في المدرسة والمجتمع ·

تلك ابرز الاسباب التي هدمت صرح اللغة الفصحى ، قد بسطناها في شيء من الايجاز ، على امل ان نعرض لها بالعلاج العملي في مقالة اخرى ان شاء الله · ونحن ، اذ نعد انفسنا لذلك ، نهيب بالعلماء والادباء ان يشاركونا في تشخيص هذا الداء ، ووضع العلاج الناجح له · لعلنا نعيد الى لغة القران اشراقها وسلطانها في العالم خاصة ، والمجتمع الانساني عامة ·

● ● الدكتور فخر الدين قباوه

نداء حضاري من الاونيسكو : ردوا الممتلكات الثقافية الى البلد الاصل

نداء من أجل اعادة الممتلكات الثقافية الى بلادها ، أطلقه المدير العام لمنظمة الاونيسكو في باريس السيد أمادو مختار مبو ·

وتستند الاونيسكو الى أن بلدانا عدة على أثر الحروب والاحتلال الاستعماري أو الاجنبي ، أخذت منها آثار ذات شأن في وعي الهوية الثقافية للشعوب التي ابتكرت هذه الآثار ، كما هي تشهد على ثقافة هذه الشعوب وتمثل تراثا لا غنى عنه ·

وصاغت الاونيسكو جملة معاهدات وتوصيات تمس الموضوع وفي آذار الماضي جمعت المنظمة في دكار لجنة خبراء فدرست انشاء لجنة داخل الحكومات يعهد اليها ، خصوصا ، في « دفع التعاون المتعدد الوجوه والثنائي من أجل رد هذه الممتلكات الى بلادها الاصل » ·

والمسألة ستطرح في الاونيسكو خلال جمعيتها العمومية في الخريف وصولا الى اجراءات عادلة يجب أن تسهل للممتلكات طريق العودة الى بلادها الافريقية والاسيوية في شكل رئيسي ·

صفد في التاريخ

خليل خلايلي

من الكتب التي صدرت أخيرا في العاصمة الاردنية « عمان » كتاب في تاريخ مدينة « صفد » للمؤرخ الكبير الاستاذ « محمود العابدي » تحت عنوان « صفد في التاريخ » في (٣٢٤) صفحة من القطع الكبير .

وليس غريبا على الاستاذ (العابدي) أن يصدر مثل هذا الكتاب في تاريخ (صفد) فهو وان يكن من مواليد (عصيرة الشمالية) (نابلس) يعتبر بمثابة أحد أبناء (صفد) لطول اقامته فيها واحتكاكه بأهلها ومعاشرتهم ومعرفتهم عن قرب ، معرفة الخبير الواثق، فقد هيء له أن يستوطن هذه المدينة الجميلة التي تقوم على بقعة من أجمل بقاع الدنيا في أعالي الجليل مدة تزيد على خمس عشرة سنة اثر تعيينه من قبل السلطات الحاكمة في فلسطين آنذاك مديرا لاحدى مدارسها الابتدائية منذ سنة (١٩٣٣) الى (١٩٤٨) م . كما تسنى له أن يقضي فيها أجمل أيام حياته ، اذ جاءها وهو في ريعان شبابه في السابعة والعشرين من عمره (المؤلف من مواليد ١٩٠٦) وغادرها وقد اكتهل ، وامتلأ علما ومعرفة وحنكة وتجربة .

وهو يعترف في تقديمه لكتابه بفضل المدينة عليه اذ أتاحت له أن يكون شخصيته ويحقق آماله ويشبع رغباته الاجتماعية والعلمية ، حتى بات يشعر وكأنه مواطن من الدرجة الاولى فيها ، وعزم على اقامة مسكن دائم له على ترابها الطهور ، وباعتقادي أنه لم يكن مخطئا في هذا العزم ، فصفد درة من درر الدنيا جمالا وبهاءا وعذوبة ماء وطيب هواء ، سيما وانها تستنشق نسيمها العليل من أعاليها المطلة شمالا على قمة جبل الشيخ « حرمون » الملفعة بالبياض الدائم طيلة ايام السنة ، وغربا على قمة جبل « الجرمق » أعلى قمم جبال فلسطين والمكسوة بالخضرة الدائمة طيلة فصول السنة ، في حين تطل من عليائها وشموخها جنوبا لتبسط أمام ناظريها مياه بحيرة « طبرية » الفضية الرائعة .

وهي تقوم على بقعتها تلك منذ أقدم العصور وتعود بتاريخها الى أيام الكنعانيين ، ومن المرجح أنها تقوم على بقعة (تريفوت) الذي ذكرتها النقوش المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بين مدن الجليل الاعلى .

وعرفت في العهد الروماني باسم «سيف» وكانت قلعة حصينة ومقرا للقسيس . لم يرد ذكرها في الفتوحات الاسلامية « كطبرية » التي كانت قصبة للاردن آنذاك ، ولعلها أهملت بسبب كثرة ما اصابها من الزلازل ، ولذا فهي لم تذكر في مؤلفات المؤرخين العرب مثال البلازري واليعقوبي والطبري وغيرهم .
الا انها عادت فازدهرت بعد أن بنى فيها الملك

الصليبي (فولك) قلعة سنة (١١٤٠ م) وقد صار لهذه القلعة شأن كبير في الحروب الصليبية نظرا لموقعها الفذ الذي يشرف على الجزء الشمالي من الجليل ، وعلى الطريق بين دمشق وعكا ،

بعد معركة « حطين » سنة ٥٨٣ هـ ، ١١٨٧ م . تمنعت قلعة « صفد » بالدادية ، فرتب عليها « صلاح الدين الايوبي » جماعة يعرفون بالناصرية ، ومقدمهم « مسعود الصلتي » ثم اتبعهم بقوة قوامها خمسمائة فارس . ثم قاد « صلاح الدين » الحصار بنفسه ، ولم يزل القتال متواصلا حتى سلمت في الرابع عشر من رمضان سنة ٥٨٤ هـ . ثم عادت الى الصليبيين ، فبعث « الظاهر بيبرس » حملة بقيادة الامير « بكتاش الفخري » ثم لحق به السلطان « بيبرس » في الثامن من رمضان سنة ٦٦٤هـ ، فنصب عليها المنجنيقات ، واشتد القتال بعيد عيد الفطر من ذلك العام حتى يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، حيث استسلمت القلعة ، ودخلها السلطان «بيبرس» وبنى فيها جامعين أحدهما في القلعة والثاني الجامع « الاحمر » الباقي الى اليوم ..

لقيت ــ صفد ــ ذروة ازدهارها في زمن المماليك، حيث أصبحت احدى نيابات السلطنة الست في بلاد الشام ، وهي دمشق وحلب وطرالس وحماة وصفد والكرك ، وفي هذا العهد انجبت اشهر رجالاتها ، « الصلاح الصفدي » ، « خليل بن أيبك » صاحب المؤلفات الشهيرة ، والمتوفى في دمشق سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) والذي يعتبر من أعظم الاعلام الذين ظهروا في بلاد الشام .

ولما تولى ــ تنكز ــ نيابة الشام في عهد الملك ــ الناصر محمد بن قلاوون ــ عمر فيها عام ١٣٢٥ م خانا ومستشفى ــ بيمارستان ــ .

وفي العهد العثماني بنى فيها الوزير العثماني المشهور ــ سنان باشا ــ سوقا .

وفيها ولد الشيخ ــ ظاهر العمر الزيداني ــ سنة ١٦٩٥ م ثم أسند ادارتها لابنه ــ علي الظاهر ــ بعد أن آل أمر بلاد الجليل اليه ولهذا يدعوها المتاولة ــ بصفد العلي ــ . وكان فيها آنذاك معهد لتعليم الصرف والنحو والفقه وتفسير القرآن .

استولى عليها ــ نابليون ــ سنة ١٧٩٩ م وأرسل لهذا الفرض الجنرال ــ مورا ــ ، الا أن هذه الحملة اضطرت الى الانسحاب بعد هزيمة ــ بونابرت ــ أمام أسوار عكا . ثم احتلها المصريون بقيادة ــ ابراهيم باشا ــ الا أنها ثارت عليهم سنة ١٨٣٤ م فعهد الى الامير ــ بشير الشهابي ــ باخماد ثورتها ، فاستعمل مع الصفديين كل شدة ، واعتقل عددا من وجهائها ، بينهم الشيخ ــ عبد الغني النحوي ــ نائب ــ صفد ــ والشيخ ــ محمد السلطي مفتيها والشيخ ــ محمد النقيب ــ نقيبها ، واصدر عليهم اوامر بالنفي . وفي عهد ابراهيم باشا دمرها الزلزال في ١ــ١ــ١٨٣٧ م وبلغت الضحايا فيها وفي توابعها ــ ٢١٥٨ ــ قتيلا .

ثم عادت الى العثمانيين ، وأعلنوها مركز قضاء في شباط ١٣٠٠ هـ وعين لها ــ سعيد شهاب بك ــ أول قائم مقام لها . ومن القائمقامين الذين تولوا أمور قضاء ــ صفد ــ المرحوم ــ موسى كاظم الحسيني ــ.

استولى عليها البريطانيون في ٢٢ ايلول سنة ١٨٩١ م بعد أن هزموا الجيوش العثمانية ، وظلت مركزا للقضاء طيلة حكمهم . كان عدد سكانها سنة ١٩٤٥ ــ ١١٩٣٠ شخصا منهم ــ ٩١٠٠ ــ مسلم ، و ــ ٤٣٠ ــ مسيحيا و ــ ٢٤٠٠ ــ من اليهود .

من أشهر عائلاتها العربية آل الخضراء ومنهم الوجيه ــ صبحي الخضراء ــ وابنته الشاعرة ــ سلمى الخضراء الجيوسي ــ وآل قدورة الخالدي ، وآل النحوي ، وآل الاسدي ، وآل العباسي ، وآل سعد الدين ــ السعدي ــ ، وآل رستم ، وآل الحاج عيسى ومنهم الشاعر ــ محي الدين الحاج عيسى ، وآل حامد ، وآل القلا ، والنجاجرة ومنهم آل الرفاعي ، وآل حجازي ومنهم الشهيد ــ فؤاد الحجازي ــ وآل الشاعر ومنهم القائد الثائر ــ عبد الله الشاعر ــ وشقيقه الشهيد ــ رشيد الشاعر ــ وآل محيي الدين ، وآل الخولي ، وآل عبد الرحيم ، وآل الصرصور وآل شما ــ وهم من الطائية ــ وآل دواه وآل صبح ومنهم الشاعر الدكتور ــ محمود صبح ــ وآل السيد وآل خليفة وآل صنديد ــ ويقول الاستاذ العابدي انهم بقية الزيادنة ــ وغيرهم .

سقطت ليلة الحادي عشر من أيار بيد عصابات

الصهاينة بعد ان دافع عنها اهلوها دفاع الابطال . وهي ما زالت تنتظر يوم الخلاص وترتقب المخلص الشهم الذي سيعيدها الى دنيا العروبة مشوقة وضاءة .

وكتاب ـ العابدي ـ ليس فريدا في بابه ، فقد سبقه الى الكتابة في هذا الموضوع ثلاثة من المؤرخين هم :

١ ـ قاضي صفد ـ علاء الدين علي بن عبد الرحمن بن حسن العثماني ـ المتوفى سنة ٧٦٩ هـ فقد ألف كتابا بعنوان ـ تاريخ صفد ـ والكتاب مفقود ، الا ان القلقشندي ذكره ، ونقل عنه في كتابه ـ صبح الاعشى ـ .

٢ ـ الخالدي ـ أحمد بن محمد بن يوسف ـ ـ جد آل قدورة الخالدي ـ على الارجح وهو من علماء وأدباء عصره ، وكان مقربا من الامير ـ فخر الدين المعني ـ وقد ألف له كتابا في تاريخه بعنوان ـ تاريخ الامير فخر الدين المعني ـ وتوفي في ـ صفد ـ سنة ١٠٢٤ هـ ـ ١٦١٥ م ـ ، وكتابه في تاريخ ـ صفد ـ مفقود أيضا .

٣ ـ اما الثالث فهو السيد ـ عبد الله مخلص ـ محاسب الاوقاف العام في فلسطين ، ولكن مؤلفه ظل اوراقا متفرقة ، ضاعت مكتبة هذا المؤرخ اثر نكبة فلسطين ، وانقطعت اخبار مخطوطته .

واذا كانت هذه الكتب الثلاثة لم تصلنا ، بل وصلنا بعض من أخبارها فان ما كتبه المؤرخ الكبير الاستاذ ـ مصطفى مراد الدباغ ـ في مجلده السادس من كتابه العظيم ـ بلادنا فلسطين ـ عن ـ صفد ـ وقد وصلنا تاما ، وهو جهد عظيم لا شك ويستحق عليه مؤلفه عرفان الاجيال المتعاقبة على ارض فلسطين ـ ان شاء الله ـ بالفضل والجميل .

ويأتي من ثم كتاب مؤرخنا الاستاذ ـ محمود العابدي ـ حفظه الله ومد في عمره ـ جوهرة ثمينة في تاريخ هذا البلد العربي السليب ، والذي نسأل الله أن يقصر امد اغتصابه ويرده للعرب والمسلمين في أقصر وقت .. وليس ذلك على الله بعزيز .

يقسم ـ العابدي ـ كتابه الى ثلاثة اقسام هي:

١ ـ صفد قبل عهدي بها .
٢ ـ ذكريات من صفد .
٣ مأساة صفد .

اما القسم الاول فيقسمه المؤلف لى ستة فصول تحمل العناوين التالية :

١ ـ الفصل الاول : بداية صفد :

وفي هذا الفصل يتكلم المؤلف على ابناء قلعة ـ صفد ـ من قبل الملك الصليبي ـ فولك ـ وعلى استيطان فرسان ـ الداوية ـ فيها ، ثم على اخراجهم منها من قبل السلطان ـ صلاح الدين الايوبي ـ العاطر الذكر . ثم كيف ردها ورثة ـ صلاح الدين ـ الى الفرنجة اثر اتفاق ـ الصالح اسماعيل ـ معهم ، ثم يتحدث عن تخليصها نهائيا من الفرنجة بقيادة الملك الظاهر بيبرس ـ رحمه الله ـ ، ووصف يوم تحريرها وصفا جميلا مؤثرا .

٢ ـ الفصل الثاني : عصر المماليك بين القمة والهاوية :

وفيه يتحدث عن عهد ـ المنصور قلاوون وعن نيابة ـ صفد ـ التي اصبحت في عهده احدى نيابات الشام الست السابقة الذكر ، كما يستعرض مجمل الحوادث التي ألمت بصفد خلال هذه الفترة ، ثم ينتقل ليتحدث عن عمران ـ صفد ـ ويستشهد بكلام رحالة ذلك الزمان ـ شيخ الربوة الدمشقي ـ المتوفى بصفد سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٧ ـ م . وبكلام ـ الخليل بن شاهين الظاهري ـ مؤلف كتاب ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ والمتوفى ـ ١٤٦٧ ـ م . كما يلخص ما أورده ـ القلقشندي ـ في كتابه ـ صبح الاعشى ـ عن نيابة صفد .

٣ ـ الفصل الثالث : الحياة العقلية في العصر المملوكي :

ويكاد هذا الفصل يكون مقتصرا على ـ صلاح الدين الصفدي ـ خليل بن ايبك ـ وهو أكبر علماء ـ صفد ـ وأدبائها في كافة عصورها ـ الثمينة ـ فالمؤلف يترجم للاديب العظيم ، ثم يتحدث عن بعض شعره وأدبه ، ويورد قائمة بمؤلفاته الثمينة ، والتي بلغ تعدادها اثنين وثلاثين مؤلفا ، وعلى رأسها ـ الوافي بالوفيات ـ والذي يقع في ثلاثين مجلدا .

وينهي الفصل بالحديث عن بعض علماء صفد ، كابن خفاجة ، وابن حبيب ، وشيخ الربوة ، والاسدي ، والخالدي ، ويترجم لعلماء من ـ آل حامد ـ .

٤ ـ الفصل الرابع : الحكم العثماني :

ويتكلم في هــذا الفصل ، على الحكم العثماني ، وعلى عهد الاميرين ـ فخر الدين المعني ـ و ـ بشـير الشهابي ـ لان ـ صفد ـ كانت ضمن املاكهما .

كما يتكلم على الشيخ ـ ظاهر العمر الزيداني ـ و ـ أحمد الجزار ـ ، ثم ينهي الفصل بالحديث عـن الحياة في ـ صفد ـ في ذلك العصر ، مستشهدا بكلام الرحالة التركي ـ أوليا شلبي ـ الذي زار ـ صفـد ـ سنة ـ ١٦٤٥ ـ م ووصفها وصفا جميلا ، وتحـدث عن قراها وخاصة ـ الجش ـ و ـ ميرون ـ وفيهـا يقول : « وبدت لنا صفد حمامة بيضاء تتحفز للطيران » وكان قد اقبل عليها من الغرب ، وظهرت عليه أول ما ظهرت سفوحها الغربية التي تتسلق السفوح العاليـة المطلة على الاودية السحيقة، وخاصة ـوادي الليمون ـ وادي ـ صفد المشهور ومنتزهها الجميل .

٥ ـ الفصل الخامس : احداث القرن التاسـع عشـــــر :

ويتحدث المؤلف عن ـ نابليون بونابرت ـ وغزوة المنطقة ، وعن هزيمته امام اسوار ـ عكا ـ كما يتحدث عن محمد علي باشا ـ وثورة الصفديين عليه ، وكيف أنزل صديقه الامير ـ بشير الشهابي ـ بالصفديـين أشد العذاب حتى مات تحت سياطه عدد كبير منهم ، واضطر الكثيرون الى الهجرة عن بلدهم .

ثم يتحدث عن الزلزال الهائل الذي دمر ـصفد ـ تدميرا كاملا ـ ١٨٣٧ ، وقتل عددا كبيرا من سكانهـا كما دمر بلدة ـ الجش ـ بكاملها وأزال ـ قديثا ـ من الوجود ، كما أشاع الدمار في كافة سواحل الشام من ـ انطاكية ـ الى ـ غزة ـ .. ويعود ليتحدث عـن اليهود في ـ صفد ـ وعن هجرتهم اليها ، وعن عاداتهم وتقاليدهم ، وعن عيد الشعلة في ـ ميرون ـ .

٦ ـ أما الفصل السادس وهو بعنوان ـ قبـل الحرب العالمية الاولى وبعدها ـ :

فيورد فيه معلومات متفرقة عن ـ صفد ـ في اواخر العهد العثماني ، وعن الحرب العالمية الاولى ، وعن زيارتها من قبل : ـ جمال باشا ـ بدعوة مـن اهاليها وبرفقته الشيخ ـ اسعد الشقيري ـ ، ثم يتحدث عن ابنية صفد وازقتها ، وعن الاحوال العامة فيها ، والاحوال الاجتماعية، وعن محاصيلها الزراعية، وبلدتيها ، وعن عاداتها وتقاليدها ولا سيما أفراحها وأعراســـــها .

ثم يتحدث عن ـ عهد الانتداب البريطاني وعــن حـوادث ـ ١٩٢٩م ـ وعن اعدام شهيدها ـ فـؤاد حجازي ـ في ١٧ حزيران ١٩٣٠ م مع الشهيدين ـعطا الزير ـ و ـ محمد حمجوم ـ وكلاهما من مدينـــة ـ الخليل ـ الباسلة وبهذا ينتهي القسم الاول ليبـدأ القسم الثاني وهو بعنوان : ذكريات في صفد : وهـــو عبارة عن مذكرات شخصية ، كان المؤلف قد سجلهـا لنفسه ، وقد جاءت معبرة جدا عن الحياة في ـ صفد ـ في تلك الفترة التي عاشها المؤلف فيها . وفيها معلومات غنية جدا وقيمة ، كان يجب ان تأخذ محلها في القسم الاول من الكتاب ، لانها عبارة عن حوادث تاريخيـــة مهمة ، وهي ليست مذكرات عابرة .

والمأخذ الذي آخذه على المعلومات الواردة في هذا القسم أنها معلومـات ثمينة ولكن يعوزهـــا الترتيب والتنســـيق .

وهو لا ينسى ان يحشر بين هذه المذكرات حديثه عن (شعراء صفد) ـ محي الدين الخضـراء ـ الملقب بمعري ـ صفد ـ والشاعر ـ محـي الدين الحـاج عيسى ـ الذي يورد له مجموعة كبيرة من شعره فـي هذا القسم ، ولست ادري ما العلاقة بين المذكـرات الشخصية ، وشعر شاعر معروف منقول بكامله عـن ديوانه ـ من فلسطين واليها ـ الصادر في ـ حلب ـ منذ أقل من سنتين .

ثم يودع الشعر الصفدي ، ليتحدث عـن بعض شخصيات ـ صفد ـ المعاصرة ، ويورد بعض تراجمهم، ثم يعود ليتحدث عن الحياة الاجتماعية في ـ صفد ـ فيتحدث عن الزواج ، والولادة والمآتم ، ثم يتبع ذلك الحديث عن الاستاذ ـ شـكيب الاموي ـ ثم عـن خيرات صفد ـ ، ثم عـن ـ صلح عشائري في صفد ـ جرى بين ـ آل الخضراء ـ وعشيرة ـ اللهب ـ التـي تستوطن في اراضي القضاء على مقربة من بحيرة الحولة.

ثم يتحدث عن مكافحة الامية في صفد ، ويقص

قصة أول جمعية تعاونية استهلاكية بصفد ، وينتهي القسم بكلامه على حرب ١٩٤٨ م ، لينتقل بدوره الـى القسم الثالث وهو بعنوان :

مـأساة صفــد :

أما هذا القسم من الكتاب وهو الثالث والاخـير فيكرسه المؤلف لاستعراض ما قالهالخبراء العسكريون يهود وعربا عن سقوط المدينة بيد العصاباتالصهيونية الباغية . وهو عبارة عن مقالات كتبت ونشرتفي صحف عربية فجمعها المؤلف في كتابه محاولا بذلك الوصولالى سر مأساتها وسبب سقوطها ، الذي ادهشكافةالعرب آنذاك وخيب آمالهم ، وأثار موجة مـن الســخط والاتهامات ألقيت جزافـا من أفواه أنـاس اعتصرتهم الآلام فنضحو اسبابا وشتائم واتهامات .

والقسم في مجموعة يتألف منخمس مقالاتوهي:

أما الاولى فقد كتبها ارهابي يهودي كان أحـد قواد الوحدات المحاربة في المدينة ، نشرت ترجمتهـا مجلة ـ الهدف ـ في عددين متاليين تموز وآب ١٩٥٠ـ وهي بعنوان ـ معركة صفد الكبرى ـ .

أما المقالات الاربع الاخرى فهي لعسكريين عـرب ممن ساهموا في الدفاع عن المدينة ، أو كانوا ضباطـا في جيش الانقاذ آنـذاك .

وأولاها : مقالة بعنوان ـ سقوط مدينة صفد ـ للكاتب العسكري السيد ـ جادو عز الدين ـ وقـد نشرت هذه المقالة في مجلة ـ شؤون فلسطينيـة ـ الصادرة في ـ بيروت ـ في عدد ـ ايار ١٩٧٣ ـ .

أما المقالة الثانية ، فهي بقلم العقيد الركـن المتقاعد ـ محمد هشام العظم الذي تسلم أمر حامية ـ صفد ـ وقاتل للحظات الاخيرة فيها . والمقالـة بعنوان ـ حقائق عن معركة صفد وسقوطها ـ ونشرت أيضا في مجلة ـشؤون فلسطينيةـ في ١٨ـ١ـ١٩٧٤ .

والمقالة الثالثة : للمقدم المرحوم ـ وصفيالتل ـ وهي بعنوان ـ اسباب سقوط صفد ـ ونشرت فـي جريدة ـ عمان المسـاء ـ في العددين الصادريـن في ـ ١٩ ، و٢٦ ـ سنة ١٩٦٣ .

وينهي المؤلف هذا القسم بايراد ايضاح للمـلازم ـ عز الدين التل ـ الذي شارك ايضا في المعركة كقائد سرية . واذا كان مجالنا في هذه المقالة يضيق عن الغوص في مضمون تلك المقالات واستخلاص النتائـج منها ، الا انه لا يسعنا الا ان نعقب على ما جاء فيها بقولنا : ان العرب عام النكبة لم يكونوا على مستوى اعدائهـم الصهاينة ، نفسيا ، وجتماعيا وتدريبيا ، ولااستعدادا لخوض المعارك الوالجة ، فصفد التي كان عدد سكانها العرب يزيد على احد عشر الفا ، لم يكن فيها فرقـة مدربة كفرقة ـ البالماخ ـ او ـ الهاجاناه ـ ، وانما كل ما كان فيها عدد من المتحمسين الشجعان الـذين لا يحسنون الفنون العسكرية من ضبط وربط وهيهات لمثل هؤلاء أن يقوموا بعمل عسكري ناجـح . كما ان المتطوعين الذين دخلوا المدينة لم يكونوا علىحال احسن من حال أهل ـ صفد ـ .. فجميع الذين خاضـوا المعركة الخاسرة ، اللهم باستثناء بعض الضبـاط الاشاوس ، الذين كان أثرهم محدودا جدا ، كانـوا متطوعين لم يسبق لهم التمرس بفنون القتال ، ولـم يخوضوا معارك سابقة ، كما كانت تعوزهم المعرفـة باستراتيجية البلدة وبمواقعها الجغرافية ولهذا لـم يكن بالامكان أحسن مما كان .. وليكن لنا في سقـوط ـ صفد ـ وغيرها من بلدان ـ فلسطين ـ العبرة كـل العبـرة لمعاركنا القادمة .

هذا مجمل لما جاء في هذا الكتاب الرائع ، الذي نحن احوج ما نكون اليه في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه أمتنا العربية الخالدة ، ولا شك أن المكتبـة العربية ستزدان به طويلا لانه سيملأ فراغا فيها ما كان لغيره من الكتب ان يملأه ، واذا كان لنا بعض الملاحظات على الكتاب ، فهي لا تقلل من قيمته ، وانما تعزز مـا جاء فيه ، سيما واننا لا نتبغي من ورائها الا نبل المقصد ونشدان الكمال .

وملاحظاتنا على الكتاب تتلخص بما يلي :

١ – لقد اغفل المؤلف الكلام على تاريخ – صفد – في العصور القديمة ، الكنعانية والرومانية وكان الاجدر به ان يفرد فصلا للكلام على ذلك .

٢ – اغفل المؤلف الكلام على تاريخ امهات البلدان في قضاء – صفد – كالجش ، وسعسع ، وعلما ، وقدس .. وهي بلدان ازدهرت في العصور الكنعانية والهلنستية ، وقفزت معظمها الى مرتبة المدن وخاصة – الجش – التي بناها الكنعانيون في الالف الرابع قبل الميلاد واطلقوا عليها اسم – أحلب – ، ثم كبرت وازدهرت في العهود الهلنستية وحملت – جسكالد – ولعبت دورا مهما في حرب اليهود والرومان ، حتى خلصها القائد الروماني العظيم – يتطس – ابن الامبراطور – فسبسيان – من عسف اليهود ، ومن طغيان قائد حزب – الخنجر تحت العباءة – الارهابي – يوحنا ابن لاوي – ، والتي ظلت صامدة مدة ستة اشهر متتالية بعد سقوط مدينة – صفد – الى ان وقعت في شرك الصهاينة في الثلاثين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٨م .

٣ اغفل المؤلف الترجمة لبعض مشاهير – صفد – المعروفين واخص بالذكر منهم :

آ – الشيخ أسعد قدورة : وهو من ابرز شخصيات – صفد – ومن الذين تسنمو أرقى الوظائف في القضاء والافتاء في – عكا – و – صفد – .

ب – الشاعرة – سلمى الخضراء الجيوسي – : ابنة السيد – صبحي الخضراء – وهي شاعرة معروفة ، لها أكثر من ديوان شعر ، وشعرها منشور في أرقى المجلات الادبية العربية وخاصة مجلة – الآداب – البيروتية وهي في الشعر ، بمنزلة – فدوى طوقان – ، و – نازك الملائكة – و عاتكة الخزرجي – وغيرهن من شاعرات العرب .

والدكتور محمود صبح وهو شاعر معروف أيضا له شعر منشور وله ترجمات عن الاسبانية .

واخصها بالذكر مذكرات الشاعر الاسباني – لوركا – وهو استاذ الادب العربي في احدى جامعات – مدريد – .

د – الاستاذ – فخر الدين القلا – : وهو من كبار رجال التربية العرب الآن ، وله عدد من المؤلفات التربوية ، ويعمل مدرسا في كلية التربية بجامعة دمشق ، وهو من اكثر شباب – صفد – علما ومعرفة ودماثة واخلاصا .

٤ – أغفل المؤلف اغفالا كاملا ذكر – جغرافية صفد – وباعتقادي انه كان من الافضل ، ان يفرد فصلا للحديث عن جغرافيتها فيبين موقعها وحدودها ، ويذكر مواقعها المشهورة ، وجبالها ومياهها وينابيعها وبساتينها ، ويرسم مخططا لحاراتها وأحيائها ، وشوارعها وطرقها ، ويتكلم بالتالي على حياتها البشرية ويفرد فصلا للحديث عن عائلاتها ، واصولهم وأنسابهم ، ويبين اماكن سكناهم بعد هجرتهم وما كان ذلك عليه صعبا ، وهو المؤرخ الاديب والعالم بأحوالها وأحوال أهلها .

وبعد : لايسعني في الختام الا ان اتقدم من المؤلف الجليل ، بخالص شكري وعظم امتناني ، على جهده العظيم الذي بذله في سبيل احياء ذكرى بلد أحببناه ووطن اضعناه ، ويسعدني ان أطمئنه بأن كتابه يعد بمثابة الخطوة الاولى للمسيرة الظافرة نحو الوطن الحبيب الذي ما كنا لنضيعه لولا ظلام الجهل الذي خيم طويلا على ربوعنا المقدسة .

دمشق

خليل خلايلي

الرحيل

اسماعيل عدره

الى اليوم الرابع عشر من شباط

رحلت ، وقد طال الرحيل مع النوى ... وفي القلب شوق لاهف ، وعتاب

رحلت ، ولم ترجع الى روضة الهوى ... وعهد الهوى ، بعد الرحيل ، اياب !

ترى ، هل علمت الروض بعدك مقفرا ... وأن أزاهير الجمال يباب !؟

وهل طاف حلم من سمائك ، مرة ... يضيء نفوسا يعتريها ضباب ؟!

لكم أغمض العينين في زحمة الدجى ... لعل الدجى ، رغم البعاد ، يجاب

فألمح طيفا من محياك ، واجما ... حزينا ، وقد لف الوجود خراب

وكم طاف قلب بالدماء ، مخضب ... رجاء الرؤى ، لكن رؤاك سراب

فيمضي وأمضي ليلة بعد ليلة ... وفي الصدر جرح ياهزار ، سحاب

فأواه ، هل لقيا لقلب محطم ... أم العمر يمضي ، والرحيل جواب ؟!

سلمية ـ اسماعيل عدره

احاديث في الادب المصري

عبد الرحمن الشرقاوي

ثروت اباظة

الشعر العربي هو التراث الادبي للعرب يمتد بهم عبر التاريخ منذ الجاهلية الاولى ثم هو يسير بتاريخهم على شاطىء الحياة ينقل الى الناس هذا التاريخ ، فتتناقله الاجيال ويلقفه راو عن راوية حتى يبلغ عصرنا الحديث بموسيقاه التي أسمعت كل الاجيال العربية الماضية . فنحن نحس في هذه الموسيقى عبير تاريخنا وعبق ماضينا ، ففي أهازيج هذا الشعر نسمع صوت الشرك وصوت الاسلام ونسمع صوت معاوية وصوت الرشيد وعلى هذه الموسيقى التفت قلوب العرب وقد تغلغلت هذه الاوزان في نفوسهم فهواة الشعر منهم لا يستسيغون الشعر أن لم يكن في قالب الوزن وفي رنين القافية .

والشرقاوي من هؤلاء الذين يرتبطون بتاريخ عروبتهم واسلامهم وخروجه على موسيقى الشعر ليس في ذاته نفورا وانما هو محاولة للتجديد. ولكن الشرقاوي بأصالته أدرك أن القصيدة الغنائية والقصيدة المفردة لن تستطيع أن تصل الى الناس في هذا النسق الجديد من الشعر وفي ذكاء استطاع أن يعدل بالشعر الحر الى طريق آخر لعله أنجح طريق يمكن أن يسير فيه الشعر الحر .

لقد اختار الشرقاوي لهذا الشعر أن يكون شعر ملحمة أو شعر مسرحية وفي هذا الميدان يستطيع الشعر الحر أن يزدهر ويبلغ قمة نجاحه فان الذاهب الى المسرح يعنيه أن يسمع حوارا مطلقا ويرى حوادث المسرحية ـ فاذا أضفنا الى ذلك هذه الموسيقى المتخفية وراء الحوار لا تضغط عليه بالقافية ولا تلح عليه بالبحر مكتملا ـ استطاعت المسرحية أن تصل الى نفس المشاهد من أحسن الطرق وأقربها الى نفسه .

وفي الملحمة أيضا يجد الشعر الحر ميدانا فسيحا فان الحديث فيها يكون منغوما دون أن تحس أن الشاعر يعتسف القافية أو يصطنع اكتمال البحر الامر الذي لا يصل الى الكمال فيه الا عباقرة الشعراء وهم قلة نادرة . وأنت تلمح استخدام الشرقاوي للشعر الحديث في الملحمة في رسالة الى شهيد وفي رسالة الى جونسون.

ولا نستطيع أن نتكلم عن الشعر الحر دون أن نذكر المرحوم علي أحمد باكثير من أوائل الذين كتبوا به

المسرحية الشعرية الا أن عبد الرحمن الشرقاوي هو الذي أصل هذا الاتجاه وثبته وأنشأ عليه أعماله الرائعة مأساة جميلة ، الفتى مهران ، تمثال الحرية ، الحسين ثائرا ، الحسين شهيدا ، وطني عكا .

وعبد الرحمن الشرقاوي من مواليد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقد تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٣ ومن هؤلاء النفر الذين وهبوا أنفسهم لقضية بلادهم واعتبروا أنفسهم مسئولين عن جميع ما يقع في بلادهم وجميع ما يقع لبلادهم .

وقد بدأ الشرقاوي حياته الادبية شاعرا شأنه شأن كل الادباء تقريبا ولكنه ظهر على الناس ككاتب مقال وان صفة كاتب مقال هذه لم تترك الشرقاوي في كل أعماله الفنية التي قدمها . فهو دائما يقول رأيا في عمله الفني وهو دائما يجهر بهذا الرأي بعنف وبقوة وبايمان وذلك لانه مقتنع بما يقول اقتناعا مطلقا ولا يريد لكلامه أن يتخذ مسيرين أو يتسمت أكثر من اتجاه .

ولغة الشرقاوي الفنية تتميز بالطلاوة والغنى وتحس أن وراءها ثقافة عريضة أعد الشرقاوي بها نفسه من مختلف الثقافات .

ولكنك تحس فيها قبل هذا تلك الروح الشعرية التي لا يستطيع أحد أن يعرف مأتاها ومن أي سماء يوحى بها الى الشعراء .. تلك الروح المجنحة تشيع في أرجاء العمل الفني همسا واني ألحظه ففي الاهازيج يصل الى القلب فهو خفق القلب وجرسه وموسيقاه .

ولا شك ان الشرقاوي هو رائد المسرحية الشعرية في الشعر الحر ولا أعتقد أن أحدا ادى للشعر الحر ما أداه الشرقاوي بما فتح له من هذا الميدان وبما ثبت له فيه من الدعائم وما وطد من أركانه .

ولا يقف جهد الشرقاوي عند المسرحية والملحمة والشعر الحديث بل هو كاتب روائي وكاتب قصة قصيرة من الطراز الاول . تحس وأنت تقرأ له ان نبض مصر في نبض الكاتب يحس بمأساة بلده ويكتب هذه المأساة كما يتصورها هو . فهو من أصدق كتاب عصرنا وهو يقدم لك أعمال من خلال رؤياه هو وهو يقدمها لك واضحة جلية فهي عنده ليست مجرد احساس وانما هي ايمان وعقيدة ومبدأ . وان كان الشرقاوي في مسرحه يتجه الى العرب أجمعهم في تاريخهم القديم والحديث ، الا انه في الرواية والقصة القصيرة يتجه الى الفلاح الذي أحبه الشرقاوي ووهب له أعز ما يهب الكاتب لمنبته الاصيل ومنشأه الاول .

عيادة في الريف ـ يكتبها ـ عبد السلام العجيلي

صدرت عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق مجموعة خواطر جديدة للدكتور عبد السلام العجيلي بعنوان ـ عيادة في الريف ـ ، اقرب الى اسلوب القصة المعروف له . وميزتها حقيقة وقوعها من خلال تجارب العجيلي طبيبا . والعجيلي يعلق على التجربة بقوله : ـ كتبت فصول ـ عيادة في الريف ـ على مدى خمس سنين ، في فترات متقطعة ، بحسب ظروف موحياتها او ظروف نشر بعضها في مجلة ـ طبيبك ـ . وحين عدت فقراتها جملة ، عند تهيئتها للنشر في هذا الكتاب ، اكتشفت فيها مآخذ جديرة بان تلفت نقاد الكتاب عند قراءتهم له ، فاردت ان اسبقهم في الاقرار ببعضها ، أو لاكون دليلا لهم عليها .

فمما يمكن ان يؤخذ على هذه الفصول انها اهملت التحدث عن أمور كثيرة مهمة في حياة طبيب الريف وفي حيوات مرضاه . والواقع اني اعرف من غيري بما تجنبت الحديث عنه من قضايا مهمة في البيئة التي اعيش فيها ثمة امور حيوية لم اخض الكلام عليها لانها تعتبر محرمات تابو ، في اوساط الريف البدوي التي فيها تجري وقائع هذا الكتاب . وهناك أمور أخرى ليست محرمة ، الا ان الاحاطة بها غير ممكنة في كتاب هذه نوعيته . وأنا ما زلت طبيبا ممارسا ، وما زلت اواجه كل يوم ما يؤسي وما يسلي وما يحفز ردود فعل متباينة . وما اوردته في الفصول التي قدمتها هنا نماذج مما واجهت وليست كلا ولا يمكنها ان تكون كلا جامعا شاملا ـ .

تضم المجموعة ستا وعشرين خاطرة جذابة الاحداث ، مريرة احيانا ، وطريفة احيانا . وكلها قصة الانسان مع الحياة منذ يبدأ الى أن يموت .

عدد صفحات الكتاب ١٢٦ من القطع الكبير .

ماذا اجيب ...؟

عدنان قيطاز

« سأله عنها ثم سافر بعيدا ولم يرجع ، فالى روح صديقي الاستاذ عبد المنعم حداد الذي اختاره الله الى جواره اثر حادثة مؤلمة في ديار الغرب أقدم هذه الحروف الباكية »

أسفا عليك يضمك اللحد ... وتغيب لا هزل ولا جد
أسفاً عليك مضرجاً بدم ... يبكي على وثباتك المجد
أسفاً عليك .. على منى بليت ... قبل الاوان وصوّح الورد
كنت الصبا الفينان مؤتلقاً ... ملء العيون تروح أو تغدو
بسمات وجهك فوحها عطر ... ورفيف ثغرك بوحه شهد
والناعم الموروث من خلق ... متجدد لم يبله العهد
والسامرون على سماحتهم ... من طيباتك يعظم الرفد
تروي على الاسماع قافيتي ... فتهزهم بالشعر اذ تشدو
أسفاً لقد طويت مساجبها ... يوم النوى وتجهم السعد
طويت على عجل وما تركت ... الا الاسى في خافقي يحدو
بالامس كنت معي .. وتسألني ... والدمع في عيني هو الرد
ماذا أجيب .. وأدمعي حرق ... وعلى ابنتي يتمزق الكبد
يا سائلي عنها لقد رحلت ... ورحلت .. لكن فقدك الفقد
في ذمة الباري أحبتنا ... نزلوا .. ونعم المنزل الخلد

لقاء مع

«الاديـــب»

علي المصري

اليوم .. هو الاثنين
التاريخ ١٩٧٨/١/٣٠
الساعة .. عند منتصف النهار بالضبط

المكان .. مكتب الاستاذ الشاعر نـزار قباني في الطابق الخامس من بنـاء دار الكتاب للطباعة والنشـر ببيروت .

ـ أدير رقم الهاتف ٢٢٥١٣٩ وأنتظر ..
الجواب على الطرف الآخر .. ألو .. نعم
من ؟ .. هل الاستاذ ألبير أديب موجود
نعم هو المتحدث .
ـ احترامي استاذ ألبير
أهلا بكم

ـأستاذي .. علي المصري ، من دمشق ، يحمل اليكم أشواق الفيحاء ، وتحايا الغوطة ، وأنسام الربوة ودمر ، والصحب الذين يتمنون لكم طول العمر وطيب العيش ورغيد الحياة .

أهلا بك وبهم في بيروت يا أخي .
ـ استاذ ألبير .. الاستاذ عدنان مردم بك شاعر دمشق الفيحاء يقرئكم السلام .. ويحملني هديته اليكم عشرة أعـداد من مسرحيته الشعرية الجديدة « ديـر ياسين » ثلاث منها معلومات :

الاولى لكم ، والثانية للزميل الشاعر فوزي عطوى والثالثة للاستاذ محمد العدناني . والسبعة الباقيـة تبقى تحت تصرفكم ، تهدونها من تشاؤون .

أخ علي .. أهلا بك وبشاعرنا الكبير عدنـان .. تفضل أنا بانتظارك ، فالحديث ذو شجون .
ـ عفـوا أستاذ ألبـير .. لست أدري اذا كان يناسبكم موعـدي في الساعة الواحدة ، لأسعد بلقياكم وانقل لكم هدية الشاعر عدنـان مردم بك ، وتحيـات الآخرين .

الآن ..؟!
ـ نعم
اذن ، أهلا بكم ، أنا بالانتظار .. أتعرف العنوان؟

ـ ولو أستاذ .. وهل يخفى القمر !!.. اني في طريقي اليكم .. الى اللقاء ..

وعلى طريق الشام ـ مقابل وكالة « فيات » البناء الثاني على يمين الشارع الرئيسي باتجاه دمشق ، وعند التقائه بأحد روافده الفرعيـة .. وعلى الباب في الدور الثالث قابلتني ملصقة غلاف مجلة الاديب التي لاتخطؤها العين بحروفها البيضاء على أرضية سوداء . وقفت بعد تردد وضغطت على الجرس بجانب لوحة نحاسية كتب عليها « ألبـير أديب » دون ألقـاب او بروتوكولات .. وتسلل صـوت الجرس الى مسامعي ، وكأنه صـوت هـاتف آت من المـاضي السحيق ليضفي على أجـواء السكون المخيم على البيت العتيد نوعا من الحركة والحياة

وبعد لحظات من نزيف الترقب والانتظار خلتهـا طويلة ، طويلة ، كطول نصف القرن من السنوات التي أكاد الامس نهاياتها مـن عمري .. اذ راحت تتداعى في ذهني ملايين من الصور الملونة بالاحمر والاسود والاخضر وتتدحرج آلاف الافكار ، وتتدافع مئات الكلمات ... هربت ، هربت كلها مني وتركتني وحيدا مع حـيرتي ، حينما شق الباب وتدفقت من خلالـه شلالات الوهـج والالق من جبين عال وضاء ، خلفيته جو ضبابي أشبه بأجواء المعابد الضاربة عمقـا في ضمير الماضي السحيق بكـل غموضها وشموعها وبخورها وأجوائها السحرية المسربلة بالغموض .

وتسلل الى أذني صوت ناعم كأنه قادم من عالـم الرؤى والاحلام ، ليوقظني من غفوتي التي تغلغلت عبر مساربها ..

أهلا أستاذ علي !
ـ وقاطعته .. احترامي أستاذ البير .. ومددت يدي وأنا مأخوذ بهيبته وسمته الرصين .. لاصافح يدا طالما نعمنا بعطاياها . وشد على يدي مـرة أخرى ودعاني للدخول .

وانتزعت أقدامي عن الارض وخطوت بحذر داخل أجواء الاديب ، وفي ذهني يتلامح قول أبي العلاء :

خفف الوطء مـا أظن أديم الـ
ارض الا مـن هـذه الاجساد

وأوصدت الباب خلفي وأسريت في رحلة الادب مع مجـلة الاديب وصاحبها ، وسارت بركابينا ذكريـات رغيدة لماحة لمثار نفع تضفي على الجو ديمة وردية السديم « وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه » وروائع القصيد تلوح في ذاكرتي فتلفني بزوبعة من عطورها العابقـة في رحب المكان . وقادني الاديب الى مكتب جلس اليه بعـد أن جلست قبالته ، وبدأ يتحدث بطلاوة ورقة عن رحـلة الاديب والادب ، وأوغل بي عبر مساربها الندية، ورحت أتملى من ذكرياته الطارفـة والتليدة عن جيل الادبـاء الكبار الذين سبقونا ، وبنو صروح الادب بعد أن مهدوا لنا الطريق .. وأنعم بخبرة الاعوام الخصيبة وحكمـة السنين الخيرة ، وأتلقن عنه سنن الحيـاة ونواميس الادب ودروبه الشاقة الشائكة التي على الاديب أن يعد نفسه للسير على أرضيتها المتفجرة ، بحذر ، وتـؤدة ليبقى بعيدا عن مزالق الرحلة ومتاهات الدروب .

جلست مصغيا ، فأفكار تشيلني وأخرى تحطني أحدق فـلا أرى شيئا غـير ضباب الذكريات العابقة بالشوق تترى ، وأصيخ السمع فلا تشوه علي لحظـة التلقي غـير دفقات الـدم الحار تتزاحم في عـروقي ، وسحبات الهواء المختلسة عبر أنفاسي ، فأدقق الانصات لحديث يتساوق عذبا نديا وكأنه آت مـن وراء حجب الغيب المتشامخة وراء المكتب ، فيهبط علي رقيقا نديا يشدني لمتابعته بسلاسل سحريـة معلقـة بوشائـج الذكريات الغالية عن دمشق العروبة وأمجادها الخالدة وذكراها المتجددة مع الايام ، وعن أساطين البيان فيها، وأصدقاء الرحلة على دروب الادب ، ورفاق الكفاح من أجل القيم الخيرة ، عن وفائهم ووددادهم المقيم ، يترحم على من قضى ويدعو بطيب المقام لمن ينتظر .

ويسألني بين الفينة والفينة عن أدواحهم الحبلى بالعطاء وآخر عناقيد نتاجهم ، فأجيبه بكلمات مقتضبة لاحافظ على لحظات التدفق المبدعة من سجل ذاكرتـه الحافظة، واني ما أحسست بفضيلة الصمت والاستماع كما أحسستها معه .

وبرشاقة فراشة ربيعية كان يتنقل بي من روض الى روض كنحلة حبلى بشهد الورود ، يقطر هنا دمعة شهد من هـذا الروض ومن ذاك يصفي قطـرة سكر ، بإلفة عجيبة وبيان فذ ورقة متناهية ، تنسيك أشواق الرحلة وعطرها المتضوع لتعربش مدارج المعاني الساحرة وتتسلق شلالات البوح المتدفقة من غرغرة الذكريات .

وتستمر رحلتي القمرية مع الاديب ساعة ونيفـا من عمر الزمـن ، والدهـور بحساب الادب ، وتتجلي دروب وتتوضح آفاق وتنفتح بوابات مـا كان بالامكان بلوغها بغير شق النفس .

وأتفحص محدثي للمـرة الاولى لتصافح عيني وجها مضيئا مشرقا جلته السنون وتركت عليه ألقا من نور حقيقة الحياة تسبر أعماق النفوس وتجتلي خباياها . وعينين هرب النور من يسراها ، فاستعاض عنه بنـور البصيرة ، ويمنى يشف الضوء فيها أكثر من شفافيـة زجاج النظارة التي تستريح عليها . وأنفا دقيقا شامخا فيه من الشم والكبرياء الوادعة كما في شوامخ الجبال من ثلوج نقية تتحدى الزمن بإباء .

وفما دقيق القسمات كانتفتاح الزهرة ، تتدفق منه عصارة التجربة وخلاصـة الحياة واختمار الحكمة كما تتدفق شلالات الضوء من شرفات القمر .

وتنحدر عيني الى مكتبه حيث تنام أطنان مـن المقالات والقصص والقصائد ، وقـد ذبحها الشـوق لملامسة أنامله ، وبحت حروفها نـداء لضوء عينيـه ، وعجبت كيف لا يثوي المكتب تحت أثقـال أشواقها ، وهمهمات الوجد بين ثناياها .

وحانت مني التفاتـة الى خلفية المكتب ، وعلـى الجدار بمستوى النظر بالضبط اذا كان الانسان منتصبا اذ يعانق الجدار صـورة غابرة للاديب تعود الى أيـام الشباب الخوالي منذ نصف قرن ونيف من الزمـن .. تسيل العذوبة من قسماتها ، ويورق خشب الاطار من فتوتها ، وتضحك نوافير مـاء الشباب وحيويته مـن مفاصلها ، وتنمو أضاميم الورد والعرائش في زواياها، ويشرق خيال ابتسامة خفاقـة كأجنحة الفراشـات الربيعية أججتها رحلة الضوء على خيـوط الشمس في مدارج نيسان ، فتركت على الشفتين قطرتين من العسل

والـى يسار الجالس أمـام الاديب وبمستوى النظر قبالته صورة أخرى يستند الجدار كما خيل الي الى تصميم زواياها تمثل أصيل عمر الاديب ـ أمدّ الله في عمره ـ وقد رسم الثلج على فوديها هالة من الهيبة والوقار ، وانحدر الليل عن نهـار الجبين الى الـوراء ليترك قبلة عريضة للصبح الوضيء ، وبدت عليها سمات من الترفع الطاهر والعفاف البكر ، ممزوجين بقناعـة لا تفنى ورضاء راسخ كالشاهقات ، يتملاها الناظر فلا يمل ، ويعب فلا يرتوي، ويسافر عبر مواسمها الواعدة الى شواطىء الخير والعطاء التي لا تبخل ، ويجد فيهـا المزيـد .

وحين انحدرت ببصري قليلا ، وقعت على أكداس مكدسة من الكتب يعانق بعضها بعضا بغير نفرة، تنام في الخزائن وعلى الرفوف بهدوء يتناسب مع جلال المكان . ويجاورها أعداد ضخمة من مجلة الاديب قـدر لي أن أتلقى منها عددين، فبراير ١٩٧٠ ويناير ١٩٧٨ .. وعلى ظهر طاولة فسيحة، غصت أحشاؤها بنفائس المؤلفات،

تقوم مجموعات من كليشات الزنكوغراف مرتبة بدقـة ومبوبة باتقان .

ثم بعد ذلك أنى استدرت صافحتك الكتب من كل حدب وصوب ، غير فراغ واحد لنافذة طويلة يتدفـق الضوء عبر زجاج بعضها وورق (النايلو) الصقيل الذي يستر بعضها الآخر وقد استعيض به عن الزجاج المتحطم منها بفعل فجيعة بيروت الدامية التي تسكن خواطرنـا وتستقر في نفوسنا مصدرا للقلق الممض والوجع السخين

ـ وأقدم الهدية اليـه ، فيفض غلافها ويـوزع أعدادها على مواضع مرسومة معلومة بعناية واتقان .

ـ ثم يسألني عن آخر ما كتب ، وقبل أن أجيب وبذاكرة خارقة تدعو للعجب والتقدير ، يقول : قرأت ـ على ما أظن ـ في عدد ديسمبر كانون أول ١٩٧٧ من مجلة الثقافة الدمشقية مقالا لكم بعنوان « بين النقـد والحقد ضاعت أقدار الرجال » . وأسقط في يدي .. وحرمني من فرصة التعملق وضيع علي لحظة ادعـاء ، ولم ينقذني من حيرتي غير حقيبتي (البريزدانت) أفتحها وأقدم له مقالا كنت قد أعددته من قبل بعنوان (الطبيعة والغزل في شعر البحتري) . فيتصفح المقال ويثني على وضوح الخـط وحروفه الكبيرة التي تتناسب وتسرب النور من صفاء عينيه ، ويطري لون الحبر الاسود الذي يوافق رؤية بصره الحسير . ويطلب مني قراءة المقـال بسرعة ، فأستنفر كل مواهبي للقراءة ، ولكنني رحت أتلجج فيها ، كيف لا وأنا أحس اني امام خمسة عقـود من الادب من أخصب عقود الزمان ، وهـو فارسها في كوكبة من فرسان الادب واللسان . ثم يتناولها ، ويضع عليها بعض الرموز والاشارات التي تحدد حجم حروف الطباعة ، شعرا ونثرا الى غير ذلك من فن الطباعـة ، وعلى طرف الورقـة الاخيرة منهـا يحصي عدد كلمـات السطور ، ثم عدد السطور ويعلن أنها تستغرق ستـة أعمدة أي ثلاث صفحات مـن مجلة الاديب مـع متسع لصورة شخصية .

وهنا أطلع على السر الذي يزيد من فضائل الاديب وهو أنه المشرف الوحيد على اعداد واخراج مجلة الاديب الرفيعة بكل مراحلها ، من ساعة ورود الانتـاج الادبي حتى خروجها مـن بين يديـه رافلة بحللها الرصينة ليس ذلك فحسب بـل حتى وصولها الـى القـراء ، معنونة بخطه النميق .

ـ ويسألني بعد ذلك عن مضيفي الاستاذ الشاعر نزار قباني ، وعن كتابي « رحلة شوق مع نزار قباني » الذي تواجدت في بـيروت بغرض طباعته ، وعن مـدى اطلاع الاستاذ نزار على عـدد مجلة الاديب يناير ١٩٧٨ وصدر غلافها المزين بكلمة من أقواله ، وعن مقال الزميلة سكينة الشهابي عن الشاعر نزار وتجديد علاقته بالامة العربية بعد تشرين .. فأذكر له اطلاع الاستاذ نزار على ذلك ، وأنقل له شكر الشاعر وامتنانه للاديب وصاحبها

ثم يبدأ الحديث عن شعر نزار ومراحله الفنيـة وعن اللغة الشعرية الخلابة التي يستعملها ، والصـور التي يفتن في ابداعها ، وهنا كان الدور في الحديث لـي ورحت أبسط له المكونات الفاعلة لهذه اللغة العذبة التي يكتب بها شاعرنا نزار وعن أثر التجارب اللغوية الاخرى من فرنسية وانكليزية واسبانية في اغنـاء أبجدية نزار وامداده بالصور التعبيرية الرائعة ، وعن تحول اللغـة القبانيـة مـن مرحلة السيراميك والنغم بعـد مرحلة الاستقرار ١٩٦٦ الى لغة حارة ساخنة متفجرة تتسم بالتقنية والاختزال ، ثم الاتجاه الجديد الرائع للكتابة النثريـة ، وجمال هـذا النثر القباني حتى يكـاد أن يبز شعره .

وأطلع الاديب على منهج البحث في هـذا الكتاب فيأخذ علي التطويل وضخامة الصفحات ، ويود لو يكون مختصرا أكثر من ذلك بكثير ليكون بالوسع اقتناءه بسهولة ويسر ، وأقره على ذلك .

وأخـيرا ، وليس آخـرا أجمع اطـراف الحديث والملم مزق الزكريات ، وأستأذن الاديب بالرحيل ، بين رنات الوداع وقوافل التحايا والاشواق وظعائن الذكريات الى دمشق الفيحاء والصحب والاحباب في كنفاتهـا ، وحتى الباب الخارجي للمعبد الفريق بالذكريات والطيب وأنا أنعم بوداع الاديب العابق باللطف والكياسة ، وأخب بأعطر الذكرى وأسعد الاوقـات ، أصافح يـدا سخنة تمنيت الدهر كله أن أبقى في مصافحتها .

منحها الله الصحة والعافية ودوام البقاء ، كمـا منحها الخلود .

وسلام عليها يوم بنت ، ويـوم دعمت البنيـان ، ويوم تبقى معطاءة على مر الزمان .

دمشق ـ علي المصري

جواب مختصر

علي قاسم الخنش

على الهوى أم عليّ اللوم والعتب ... فكل حب له في أصله سبب

أرى التذكر لا يرجو مفارقتي ... فكيف من ساحة التذكار أنسحب

لي منك قلبك أهواه ويعشقني ... فكيف تهرب مني النافر الرطب

عيناك والحية الرقطاء ويحمها ... كلاهما في حشاه السقم والعطب

ان مات حبك عن غدر ومنقصة ... فلن يموت بقلبي العشق والطرب

وسوف أجعل عظمي للهوى حطبا ... حتى يضيء على أكفاني اللهب

ويح الثلاثين ما أبقت وما تركت ... والعمر يجري عجولا مثلما السحب

وكل شيء سأنساه على مضض ... الا خطاياك لي من وقدها غضب

حالي كحالة (عيسى) يوم مصرعه ... فكيف أحوال من خانوا ومن صلبوا

يا ويل نفسي والايام كاشفة ... ما خانني الرأس لكن خانني الذنب

شككت في الناس طراً ما عداك فلم ... يخامر الشك احساسي ولا الريب

حتى تكشفت عن رقطاء ناعمة ... تنقط السم في كأسي وتحتجب

لقد تعلمت فن الحرف في لغتي ... فصرت أبرع من قالوا ومن كتبوا

أصبحت عندك أعمى لا يقاد له ... وكنت عندك لا ترقى لي الشهب

أيام أرعاك رعي العين من رمد ... ثم انقلبت فضاع العون والتعب

نكرت كل جميل من صنائعنا ... ما اهتز عندك احساس ولا عصب

أتنكرين على وعي ومعرفة ... ولو سألت حجار البيت تضطرب

بوّأتك القلب حتى صرت سيدة ... فكنت أول من خانوه وانقلبوا

أرى الجزيرة عن حالي تسائلني ... وكيف حال الذي يبكي وينتحب

مجرح قلبه في كف عاشقه ... معفر واهن الدقات مضطرب

أتيت أسأل والغايات تدفعني ... يطير بي الجانحان : الحزن والنصب

زيفت ، لفقت والاسباب واحدة ... سلي ضميرك يا حواء ما السبب

حول ديوان بشار

موسى الاحمدى نويوات

عهد الاستاذ أحمد أمين (رحمه الله) الى الاستاذين : محمد رفعت فتح الله (الاستاذ في كلية اللغة العربية بالجامع الازهر) ومحمد شوقي أمين (المحرر في مجمع اللغة العربية) بمصر لمراجعة ما وجد من شعر (بشار برد) في المخطوطة الفذة التي تولى تحقيقها وشرحها الاستاذ العلامة السيد (محمد الطاهر ابن عاشور) شيخ جامع الزيتونة الاعظم في تونس .وقد قاما معا بهذه المهمة . فأخرجا الجزء الاول ، والثاني ، وقد وجدا فيهما اغلاطا عروضية كثيرة صححاها ، ونبها الى وجه الصواب فيها . وذلك في الجزء الاول والثاني فقط .

أما الجزء الثالث فقد أنفرد بمراجعته الاستاذ محمد شوقي أمين دون الاستاذ محمد رفعت فتح الله اذ حال سفره المفاجىء دون مشاركته لزميله في مراجعة الجزء الثالث كما شاركه في الجزأين الاول والثاني .

غير أن الاستاذ محمد شوقي أمين لم يتعرض للاغلاط العروضية الواقعة في الجزء الثالث مثلما تعرض لها مع زميله في الجزأين السابقين . فرأيت أن اتعرض لوجه الصواب فيها ، وأرجع كل قصيدة الى بحرها وعروضها وضربها ، وأبين مايدخلها من علل وزحافات .

والتزمت أن آتي بالبيت الاول من القصيدة ، وبالذي يليه اذ لا تتبين عروض القصيدة الا بالبيت الموالي لمطلعها، فقد يكون البيت الاول مصرعا او مقفى.

والاجزاء الثلاثة طبعت في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ ــ ١٩٥٧ م.

ودعاني الى كتابة هذا التصويب :

أولا : غيرتي على هذا الفن العربي الاصيل ــ فن العروض ــ الذي زهد كثير من لناس في تعليمه ، وقلت رغبتهم في تعاطيه ، وكأنه لم يكن فنا أدبيا تدعو اليه الحاجة ، وتراثا عربيا يرثه الاحفاد عن الاجداد ، حتى صار كثير من شعراء لا يعبأون بما يقع في قصائدهم من أخطاء عروضية ، وعيوب قوافية .

(وما درى أولئك الشعراء ان لزوم القوانين العروضية ليست الا صورة من احساس الشاعر بالنظام ، ودليلا على احترامه للفن وثقته بنفسه (والشاعر الذي يجهل قواعد الفن ــ فن العروض طبعا ــ انما يفتقد جزءا مهما من عدة الشاعر (كما قالت نازك الملائكة) : لان الوزن هو الروح التي تكهرب المادة الادبية وتصيرها شعرا ، فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف ، بل ان الصور والعواطف لاتصبح شعرية بالمعنى الحق . الا اذا لمستها أصابع الموسيقى ، ونبض في عروقها الوزن .

والشعر غير الموزون يعد خاليا من الموسيقى والايقاع ، ولذلك ترفضه الاذن الشعرية الحساسة كما يرفضه العروضي الذي أحسن فن العروض) .

وثانيا : أنها أخطاء من صنف لا يمكن السكوت عنه حمل الشاعر بشار تبعتها وهو بريء منها ، ولو لم يكن أسير رمسه ، لدافع عن نفسه .

ثالثا : أنها من عالم له شهرته العلمية ، ومكانته الادبية من الصعب ان يعتقد من ليس له معرفة بالفن خلاف ما يكتب وعكس ما يقرر .

واذا جاز للاستاذ محمد رفعت فتح الله أن يصوب ما في الجزءين : الاول والثاني من أخطاء عروضية ، فلم لا يجوز لغيره أن يصوب ما في الجزء الثالث من أغلاط ، مادام للعروض أسس متينة ، وقواعد ثابتة ، يعتمد عليها الحاكم في حكمه ، وميزان تعادلت كفتاه، وضبطت مثاقيله، محكم الصنع، صادق المخبر ، لا يدارى ، ولا يمارى ، وما دام رائد الكاتب ارشاد القارىء ، ولفت نظره الى وجه الصواب في بحر القصيدة وضربها ؟ قال بشار :

لم يدر ما قلت (مسعود) فضيعه
يا سوأتا من طلابي جود (مسعود)
وقائل كيف (مسعود) فقلت لـه
هو الجـواد ولكـن فاسـق الجود ص١

قال الشارح : والابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها كذلك .

قلت : اما عروضها فنعم ، وأما ضربها فمقطوع لا مخبون .

قال بشار :

ليس النعيم وان كنانزن به
الا نعيم (سهيل) ثم (حماد) ص٢

قال الشارح : والابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها كذلك .

قلت : بل ضربها مقطوع لا مخبون .

قال بشار :

غيب جيرانه بذى حمد
عن ليل من لم ينم ولم يكد ص٣

قال الشارح : والقصيدة من بحر المجتث ، وقد استعمله تاما على وجه الشذوذ كما تقدم في القصيدة في ورقة ٢١ من الجزء الاول (١) وفي كثير من ابياتها والجمع بين القبض والكف ، والجمع بين الطي والكف والقبض ، وكل ذلك شاذ) .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح ، وليست من بحر المجتث كما قال الشارح . ولذلك دخل الطي في بعض أجزائها ، ولو كانت من المجتث لمادخلها الطي : لان الطي لا يدخل المجتث أصلا ، والكف لا يدخل على المنسرح ، كما ان القبض لا يدخل على المجتث ، ولا على المنسرح .

فالقصيدة خالية تماما من القبض ، والكف : لان القبض لا يدخل الا على تفعيلتين فقط هما : فعولن، ومفاعيلن . ففعولن تكون في بحرين : الطويل، والمتقارب ومفاعيلن تكون في ثلاثة أبحر : الطويل ، الهزج ، والمضارع ليس غير .

اذن فبشار لم يجمع بين القبض والكف : لانهما غير موجودين ألبتة في القصيدة ، ولا بين الطي والكف والقبض لعدم وجود الاخيرين فيها أيضا .

قال بشار :

ألم يأن أن تسلي مودة مهددا
فتخلف حلما أو تصيب فترقدا
وما ذكرك اللائي مضين براجع
عليك نوى الجيران حتى تبددا

قال الشارح : وهي من بحر الطويل عروضها وضربها محذوفان .

قلت : بل عروضها وضربها مقبوضان ، لا محذوفان .

قال بشار :

أمن الحوادث والهوى المعتاد
رقد الخلى وما أحس رقادي ص٦٤
وأجيب قائل كيف أنت (بصالح)
حتى مللت وملني عوادي

قال الشارح والابيات من بحر الكامل ، وعروضها وضربها مقطوعان .

قلت : والابيات من بحر الكامل، عروضها صحيحة وضربها مقطوع .

قال بشار :

أذكرت نفسي عشية الاحد
من زائر صادني ولم يصد
أحور عبى لنا حبائله
بالحسن لا بالرقى ولا العقد

قال الشارح : والقصيدة من بحر السريع ، وعروضها وضربها كلاهما مخبول مكشوف ، وفيها زحاف الطي .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح ، وعروضها وضربها كلاهما مطوي .

قال بشار :

أشاقك مغنى منزل متأبد
وفحوى حديث الماكر المتعهد ص٧٠
وشام بحوضى ما يريم كأنه
حقائق وشم او وشوم على يد

قال الشارح : وهي من بحر الطويل ، عروضها وضربها مقبوضان ، وفيها زحاف الطي في فعولن .

قلت : ... وفيها زحاف القبض في فعولن : لان الطي لا يدخل على فعولن ، وانما يدخل على مستفعلن ، ومفعولات ليس غير . والدليل على ان الطي لا يدخل على فعولن ، هو أن الطي يحذف الحرف الرابع من الجزء اذا كان ساكنا ، وكان ثاني سبب .

وفي الخزرجية :

ورابعه لم يبل الا بطيه
أي الحذف ان يسكن والا فقد نجا

والحرف الرابع من فعولن هو اللام وهو متحرك ، وأول سبب أيضا .

قال بشار :

وضعت قناعي وارتببت نجادي
وأيقظت دور الشعر عين قتادي ص٨٥
ولما رأيت القوم ملوا سلامة
وقادهم الزنجي شر مقادي

قال الشارح : والقصيدة من بحر الطويل ، عروضها محذوفة ، وضربها محذوف .

قلت : والقصيدة من بحر الطويل ، عروضها مقبوضة ، وضربها محذوف . وليس للطويل الا عروض واحدة مقبوضة على سبيل الوجوب . والقبض زحاف أجرى مجري العلة في اللزوم في عروض هذا البحر : كالخبن في عروض البسيط الاولى وضربها الاول ، والطي في ضرب المنسرح الاول . فان هذه زحافات أجريت مجرى العلة في اللزوم .

قال بشار :

لا ييأسن فقير من غني أبدا
بعد الذي نال يعقوب بن داوود ص٩٣

قال الشارح : والابيات من بحر البسيط ، عروضها وضربها مخبونان .

قلت : والابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها مقطوع .

قال بشار :

ياليلتي لم أنم شوقا وتسهادا
حتى رأيت بياض الصبح قد عادا ص٩٨
كبرت لما رأيت الصبح منبلجا
يحد وتوالى جون بان أو كادا

قال الشارح : وهذه الابيات من بحر البسيط ، وعروضها او ضربها مخبونان .

قلت : وهذه الابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها مقطوع .

قال بشار :

عجل أبا محمد
حاجة غاد من غد ص١٠٣
ولا تكن مثل السرا
ب اذ غدا لم يوجد
فالجود من كرم الفتى
والمطل داء في اليد

قال الشارح : هذه الابيات من مجزوء الرجز .

قلت : وهذه الابيات من مجزوء الكامل ، أي من ضرب الكامل الثامن ، لا من مجزوء الرجز كما قال الشارح .

وبيان ذلك ان مجزوء الكامل كثيرا مايشتبه بمجزوء الرجز ، وذلك في صورة ما اذا سلمت أجزاء الرجز من الخبن ، وأضمرت جميع أجزاء الكامل ، أو خبنت أجزاء الرجز ، ووقصت أجزاء الكامل . وفي هذه الحال ننظر : فان وجدنا تفعيلة من تفاعيل الكامل حكمنا به للكامل ، والا حكمنا به للرجز .

فالبيتان الا ولان يحتمل أن يكونا من الرجز دخلهما الخبن والطي (٢) ولكن البيت الثالث فيه تفعيلة تدل على أن الابيات من مجزوء الكامل ، لا من مجزوء الرجز : لوجود (متفاعلن) فيه ، اذ تفاعيله هي :

فلجود من – كرملفتى ولمطل دا – أن فليدى
مستفعلن – متفاعلن مستفعلن – مستعلن

دخل الاضمار في التفعيلة الاولى والثالثة والرابعة وسلمت التفعيلة الثانية ، فثبت ان الابيات من مجزوء الكامل ، لوجود متفاعلن فيها . والى هذا الاشتباه يشير ناصيف اليازجي في مجمع البحرين في المقامة(١٢) الازهرية بقوله : (وأي بحر يستبيح أجزاء صاحبه ولا

حرج عليه ، فان اختلس منه صاحبه جزءا سـيق برمته اليه ص ٩٢) . وقال أبو العلاء المعري : (... فان المرء السيد ربما أذلته النكبات حتى يحسـبه اللبيب أحد ضعاف العامة ، كالوزن الكامـل اذ أضمر ، أو وقص وخزل ظن أنه من الرجز) .

وهذا الغلط الذي وقع فيه شارحنا وقع فيـه قبله الدسوقي في حاشيته على شرح المختصر لسعـد الدين التفتزاني على متن التلخيص عند قـول الشارح في تعريف التشريع (التوشيح) وقد يكون البناء على أكثر من قافيتين ، وهو قليل متكلف) قال الدسوقي ما نصه : (قوله وهو قليل) من ذلك قول الحريري :

جودي على المستهتر الصب الجوي
وتعطفـي بوصالـه وترحمـي
ذا المبتلي المتفكر القلب الشـجي
ثـم اكشفي عـن حالـه لا تظلمـي

فهذه الابيات مبنية على قواف متعددة الاولى : رائية في المستهتر ، والمتفكر فيقال من منهوك الرجز :

جودي على المستهتر ذا المبتلي المتفكر

قلت : صوابه من ضرب الكامل الثامن : لان فيه جزءا على وزن (متفاعلن) وهو (متفكري) .

(والثانية يائية في الصب ، والقلب ، فيقال من مشطور الرجز الاحذ :

جودي على المستهتر الصب ذا المبتلي المتفكرالقلب

قلت : صوابه من ضرب الكامل الخامس ــ وفيه التصريع ــ لوجود (متفاعلن) فيه ، ولان الحذذ يكون في الكامل لا في الرجز وفي الخزرجية :

وحذفك مجموعا دعوا حذ كامـلً
والا فصلم والسريـع بـه ارتدى

(والثالثة يائية في الجوي ،والشجي فيقالُ من مشطـور الرجـز :

جودي على المستهتر الصب الجوي
ذا المبتلـي المتفكر القلب الشـجي)

قلت : صوابه من ضرب الكامل لوجود (متفاعلن) فيه أيضا ، وفيه التقفية . (والرابعة فائية في تعطفي واكشفي . فيقال من مجزوء الرجز :

جـودي عـلى المستهتر الـ
صـب الجـوي وتعطفـي
ذا المبتلـــي المتفكـــر الـ
قلب الشجـي ثـم اكشـفي)

قلت : صوابه من مجزوء الكامل ــ اردت ضربـه الثامن ــ لوجود (متفاعلن) فيه وهو (وتعططفـي) و (متفككري) وزنه (متفاعلن) .

(رجوع) قلت وقد استعمل بشار في هذه الابيات الوقص وهو قبيح في الكامل ، والخزل وهو أشد قبحا من الوقص . واذا دخل الخزل على (متفاعلن) صيرها (مفتعلـــن) .

قـال بشـار :

للـه درك يا مهـدي من مالـك
لولا اصطناعك يعقوب بن داوود ص١٠٤
أما النهار فتخمات وقرقـرة
والليل يأوي الى المزمار والعود

قال الشارح : وهي من بحر البسيط، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهي من بحر البسيـط ، عروضها مخبونة وضربهـا مقطوع .

قـال بشـار :

أباهل اني للحروب عـواد
وان ردائي منصل ونجـاد ص١٠٤
أباهلهزوالي فتىغير مدخل
فان سماء الباهلي جمـاد

قال الشارح : والابيات منبحر الكامل،وعروضها وضربها مقبوضان .

قلت : والابيات من بحر الطويـل ، عروضهـا مقبوضة صحيحة وضربها محذوف .

قـال بشـار :

الناس أثنان في زمانـك ذا
لو تبتغي غير ذين لم تجـد ص١١١
هذا بخيل وعنده جـدة
وذا جـواد بغير ذات يـد

قال الشارح : هذا ان البيتان من بحر المنسرح ، عروضها صحيحة ، وضربها مطوي .

قلت : هذان البيتان من بحر المنسرح ، عروضهـا صحيحة وضربها مطوي .

قلت هذان البيتان من بحر المنسرح عروضهمـــا وضربهما مطويان .

قـال بشـار :

أظن سعيدا كائنا لصديقـــه

كد احس عبس او كبكر ثمود ص١١٢

قال الشارح : والابيات من بحر الطويل عروضها وضربها مقبوضان :.

قلت : والابيات من بحر الطويل ، عروضهـــا مقبوضة وضربها محذوف .

قـال بشـار :

ظل اليسار على العباس ممدود

وقلبـــه أبدا بالبخـل معقود ص١٢٧

ان الكريم لتخفى عنك عسرته

حتى تراه غنيا وهو مجهـود

قال الشارح : وهذه الابيات من بحر البسيط ، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهذه الابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها مقطوع .

قـال بشـار :

نبابك خلف الطاعنين وسـاد

ومالـك الا راحتيك عمـاد

لخديك من كفيك في كل ليلـة

الى ان ترى وجه الصباح وساد ص١٣٥

قال الشارح : عروضها محذوفـة ، وضربهـا مقبـوض .

قلت : عروضها مقبوضة ، وضربها محذوف .

قـال بشـار :

يارحمة الله حلي في منازلنـا

وجاورينا فدتك النفس من جار ص١٦١

قال الشارح : وهذه القصيدة من بحر البسيط ، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهذه القصيدة من بحر البسيط ، عروضها مخبونة وضربها مقطوع :.

قـال بشـار :

ياطـير انـا في غـد طـير

روحـي فـان البـين تبكـير ص١٩٢

قد أطلب الحاجـة من مشرف

مـــن دونهـا زار وتنفـــير

قال الشارح : ولم يأت في عروض البيت الاول بحرف الردف ، كما أتى بـه في القافية لانه لم يقصد التصريع .

قلت : لقد أتى في عروض البيت الاول بحـرف الردف ، كما أتى به في الضرب ، وهو الياء في طير : لانه قصد التصريع . ولذلك أدخل الاضمار في العروض ليلحقها بالضرب . والا لما جاز دخول الاضمار فيها .

وعاية ما يقال في البيت : ان في عروضه عيبا من عيوب القافية وهو ما يسمونه بسناد الحذو .

والحذو : هر حركة الحرف الذي قبل الردف ، ضمة كانت ، أو فتحة ، أو كسرة . فاذا كان الردف واوا لزم ان تكون حركة الحرف الذي قبله ضمة ، واذا كان ألفا لزم أن تكون فُتحة ، واذا كان ياء لزم ان تكون كسرة . فاذا اختلفت الحركتان فتحا وكسرا في البيت المصرع مثلا ــ كفتحة الطاء من طير ، وكسـرة الكاف من تبكير كان هذا الاختلاف عيبا من عيـوب القافية يسمى (سناد الحذو) .

والتصريع كما عرفه العروضيون هو : جعـل العروض كالضرب وزنا ورويا مع اخراجها عن حكمهـا الى حكمه . والعروض في بيت بشار قد جعلت كالضرب رويا وهو الراء ، وقد اخرجت عن حكمها وهو السلامة من الاضمار الى حكم الضرب حيث أضمرت مثلـه . فاتفقت العروض والضرب رويا،ووزنا وهذا مايسمونه بالتصريع .

والردف في العروض موجود ، وهو الياء مـــن (طير) مثل الياء من تبكير .

وحيث ان العروض في البيت المصرع خاضعة لما يحكم به على ضربها من جواز ومنع عد عيب العروض عيب الضرب وقد دخل في العروض عيب من عيـوب القافية ، مما يدخل على الضرب في حال الضـرورة أقصد (سناد الحذو) وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف كالفتحة مع الكسرة في قول بشار المتقدم ، وكقول بعضهم :

لقد ألـج الخباء على جـوار

كـأن عيونهـن عيـون عـين

كأني بين خافيتي عقاب
يريد حمامة في يوم غين

فقد اختلف البيتان فيما قبل الردف . فالعين المهملة مكسورة في الاول ، والغين المعجمة مفتوحة في الثاني . والعروضيون استشهدوا بهذين البيتين على اختلاف حركة ما قبل الردف بالفتح والكسر ، ولم يستشهدوا بهما على وجود الردف في البيت الاول ، وعدم وجوده في الثاني . وانما استشهدوا على ذلك بقول حسان (ض) :

اذا كنت في حاجة مرسلا
فأرسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى
فشاور حكيما ولا تعصه

فالبيت الاول مردوف، والثاني خال من الردف. والحرف الذي قبل الروي (الصاد) في البيت الثاني وهو العين ليس من حروف اللين ، ولا يصح ان يكون، ردفا ، ولو ضممناه . بخلاف الياء من (طير) فانها حرف من حروف اللين ، ولو كسرناها لزال العيب المسمى ب (سناد الحذو) .

قال بشار :

أعبيد ياذات الهوى النزر
ثقلت مودتكم على ظهر ص٢٢٤
لو كنت ياعباد صادقة
بالحب قارب امركم امري

قال الشارح : والقصيدة من بحر الكامل ، عروضها حذاء ، وضربها كذلك : وفي عروضه وضربه الاضمار .

قلت : والقصيدة من بحر الكامل ، عروضها حذاء ، وضربها أحذ مضمر . وليست العروض بمضمرة وما جاء في عروض المطلع فللتصريع ليس غير .

قال بشار :

مهلا هجائي يابن شخص النجار ص٢٤١
ما نفر يدعى لهم بأحرار

قال الشارح : من بحر الرجز ، وعروضه وضربه مقطوعان .

قلت : بل من مشطور السريع ، عروضه موقوفة مشطورة هي الضرب ، تفاعيله أي الضرب الخامس للسريع .

مستفعلن مستفعلن مفعولان

قال بشار :

حسبي بما قد لقيت يا عمر
لم يأتني من حبيبتي خبر ص١٦٤

قال الشارح : والقصيدة من بحر السريع ، وعروضها وضربها مخبولة مكشوفة .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح ، وعروضها وضربها مطويان .

قال بشار :

تجالت عن فهر وعن جارتي فهر
وودعت نعمى بالسلام وبالهجر ص٢٧٢
وقالت سليمى فيك عنا تثاقل
محلك ناء والزيارة عن غفر

قال الشارح : وهي من بحر الطويل ، عروضها وضربها مقبوضان .

قلت : وهي من بحر الطويل، عروضها مقبوضة، وضربها صحيح .

قال بشار :

الله أكبر والصغير صغير
وتناول العلج الكرام كبير ص٢٩٥
ما بال حماد بن نهيا يشتهي
موتي كأني بأسته باسور

قال الشارح : والقصيدة من بحر الكامل ، وعروضها وضربها مقطوعان .

قلت : والقصيدة من بحر الكامل ، عروضها صحيحة ، وضربها مقطوع .

موسم الاحمدي نويوات
الجمهورية الجزائرية

---

(١) ـ قال الشارح في الجزء الاول صحيفة ٦٣ (لا صحيفة ٢١ كما قال) ما نصه : (... فقصيدة بشار التي أولها :

تحمل الظاعنون فادلجوا والقلب منى الغداة مختلج

من بحر المنسرح ، والمعروف في المنسرح أن تكون عروضه صحيحة وضربها مطويا :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفتعلن

وبشار استعملها بعروض مطوية ، وضرب مطوي ، فعروضها مفتعلن ، وضربها مفتعلن في جميع أبياتها ، ولو اقتصر على ذلك في

البيت الاول لاغتفر ، لان القصيدة اذا وقع فيها التصريع : وهو مجيء مصرعها الاول مقفى كالمصراع الثاني يكون المصراع الاول على وزن الثاني عروضا وضربا ، ولكنه عمم ذلك في جميع القصيدة ، وقد تكرر ذلك منه في قصائده التي من بحر المنسرح كقوله :

لا فجع الاكما فجعت بــه   من فارس كان دوننا حدبا

وكذلك قصيدته التي أولها :

يا مالك الناس في مسيرهم   وفي المقام الخطير من رهبه

فهي من بحر المجتث ، وقد استعمله تاما كما رسمه الخليل في الدائرة الرابعة :

مستفعلن فاعلاتن فاعــلاتن   مستفعلين فاعلاتن فاعلاتن

غير أنه لم يسمع عن العرب تاما ، وانما سمع مجزوءا :

مستفعلن فاعلاتن   مستفعلن فاعلاتـن

وشذا ستعماله عند المولدين تاما ، من ذلك قول بعضهم :

ياذا الذي في الحب يلحى مستهامـا

لا تلحنــي ان مثلــي لــن يلامـا

والتزم بشار في قصيدته هذه زحافين ليخفف ثقل الميزان هما : زحاف الكف ، في فاعلاتن لاول ، فصيرة فاعلات ، والقبض في فاعلاتن الثاني فصيرة فاعلتن . انتهى كلام الشارح .

قلت : قول الشارح : (... فقصيدة بشار التي اولها : تحمل الظاعنون فادلجوا البيت : من بحر المنسرح ، والمعروف في المنسرح أن تكون عروضه صحيحة ، وضربها مطويا ، وبشار استعملها بعروض مطوية ، وضرب مطوي) . قلت : ان بشار اجرى فيه على ما رسمه العروضيون لعروض هذا البحر ، ولكنها لم تستعمل هذه العروض الا مطوية ، سواء كان ذلك في الشعر الجاهلي ، أم في الشـعر الاسلامي ، فبشار ان أتى بهذه العروض مطوية فانما تبع في ذلك من سبقه ، ومن عاصروه ، ومن أتى بعده .

جاء في صحيفة ٢٠٢ من كتابنا المتوسط الكافي ، المطبوع بدار العلم للملايين الطبعة الثانية ، عند كلا منا على هذا البحر ما نصه : (... هكذا يقولون : انها صحيحة ، ولكنك اذا تتبعت اشعـار العرب فلا تجد هذه العروض الا مطوية ــ أللهم الا نادرا ــ ولم نعثر لها على شاهد في المراجع التي طالعناها ما عدا ما ساقوه لها شاهدا في كتب العروض . فلم يجعلوها مطوية بدلا من صحيحة نظــرا للاستعمال اذ لم تجيء الا كذلك ؟)

وقول الشارح : (... وكذلك قصيدته التي أولها :

يامالك الناس في مسيرهم البيت . فهي من بحر المجتث وقد استعمله تاما كما رسمه الخليل في الدائرة الرابعة .. الخ) .

قلت : ليست القصيدة من بحر المجتث كما ظــن الشارح ، وانما هي من بحر المنسرح . واليك تقطيع البيت ليظهر بحرها :

يامالكن ــ ناس في مسيرهمو   وفلمقا ــ ملخطير ــ من رهبه

مستفعلن ــ مفعلات ــ مفتعلن   مفاعلن ــ مفعلات ــ مفتعلن

فهذه التفاعيل هي تفاعيل المنسرح نفسه . وقد دخل الطي فــي (مفعولات) فصيرها (مفعلات) ، وفي (مستفعلن) فصيرهـا (مفتعلن) . والخبن في (مستفعلن) فصيرها (مفاعلن) . والطي الخبن من الزحافات التي تدخل هذا البحر . أما تفاعيل البحر المجتث فهي :

مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن   مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن

غير أنه لا يستعمل الا مجزوءا هكذا :

مستفع لن فاعلاتـن   مستفع لن فاعلاتـن

والشارح يقول: (ان القصيدة من المجتث وقد استعمله الشاعر تامــا) .

قلت : وهذا لا يصح ، والدليل على عدم صحته هو أن فاعلاتن مركب من سببين خفيفين بينهم وتد مجموع ، ولا يدخل على هـذه التفعيلة الا ثلاث زحافات . وهي : الخبن فينقلها الى (فعلاتن) والكف فينقلها الى (فلاعلات) والشكل فينقلها الى (فعلات) .

والشارح يقول : (ان فاعلاتن في اخر الصدر دخلها القبض فحذف الالف وهو الحرف الخامس من (فاعلاتن) فصارت التفعيلة بعد دخول القبض عليها (فاعلتن) وهذا غير صحيح .

أولا : لان القبض زحاف لا يدخل الا على فعولن ، ومفاعيلن كما تقدم .

وثانيا : ان القبض يحذف الحرف الخامس اذا كان ثاني سبب كالنون من فعولن ، والياء من مفاعيلن . والحرف الخامس مــن (فاعلاتن) ــ وهو الالف ــ ثالث وتد مجموع : والزحاف لا يدخل على الاوتاد أصلا ، وانما يدخل على ثواني الاسباب ليس غير . اذن فالقصيدة ليست من المجتث الكامل الاجزاء .

وقول الشارح : وشذ استعماله عند المولدين تاما من ذلــك قول بعضهم :

يا ذا الذي في الحب يلحى مستهاما   لا تلحنى ان مثلي لن يلاما

قلت : ليس هذا ببيت حتى يصح الاستدلال به : لانه ملفق من بحرين مختلفين : صدره من ضرب الكامل الاول أضمرت اجزاؤه، ورفل آخره شذوذا : لان الترفيل خاص بمجزوئه أو هو من ضرب الرجز الاول رفل آخره شذوذا أيضا : لان الترفيل لا يكون فــي الرجز . وعجزه من المجتث التام ، والمجتث لا يستعمل تاما . واليك تقطيعه ليظهر لك أن صدره من بحر ، وعجزه من آخر :

ياذا للذي ــ فلحببيل ــ حي مستهاما

مستفعلن ــ مستفعلن ــ مستفعلاتن

لا تلحني ــ ان نمثلي ــ لن يلامــا

مستفع لن ــ فاعلاتن ــ فاعلاتــن

فالتفاعيل الاولى في الصدر من اول الكامل او الرجز المرفل ، والتفاعيل الثانية في العجز من المجتث التم . والشارح استشهد به على أنه بيت من المجتث ، وقد ثبت انه ليس ببيت . ولا يسمــى البيت بيتا الا اذا كان من وزن واحد ، وله عروض وضرب ــ وهذا في غير المشطور طبعا ــ ولم يبق الا عجز البيت ، وهو لا ينهض حجة في الاستدلال . هذا من جهة ، ومن جهة أن قائل هذا الشطر مجهول، فمن الجائز أنه ممن لا يستدل بشعره ، او يكون ذلك من الموشحات، والاوزان الخارجة عن الاوزان العروضية .

(٢) ــ اذا دخل الاضمــار في (متفاعلن) صارت التفعيلـة (مستفعلن) ، وهي في هذه الحال مركبة من سببين خفيفين بعدهما وتد مجموع ، وقد صارت مماثلة لـ (مستفعلن) في الرجــز ، ودخول الاضمار والطي على (متفاعلن) ينقلان الجزء من متفاعلـن الى (مفتعلن) . واجتماع الاضمار والطي هو ما يسمى بالخزل . وقد يدخل الطي في (متفاعلن) ولو لم يدخل الاضمار : لان الحرف الرابع من (متفاعلن) ثاني سبب ساكن . ولدخول لطي على الكامل أو جبوا فيه المراقبة ، وهي دائرة بين تاء (متفاعلن) وألفها . فاذا دخل الاضمار امتنع دخول الطي ، وبالعكس . واذا دخل الخزل على (متفاعلن) صار (مفتعلن) أيضا ولهذا يقع الاشتباه بين البحرين .

الشيخ عبد القادر المغربي

عبد الكريم دندي

– ١ –

الشيخ عبد القادر المغربي رائد من رواد الحركة الفكرية وداعية من دعاة الاصلاح الديني والاجتماعي واللغوي في الوطن العربي . ولقد ساهم بصورة فعالة في مجال الاعلام والتوجيه والتعليم . وكان دائب الترحال بين الاقطار سعيا وراء الرسالة التي نذر لها نفسه ، منذ تشبع بأفكار الشيخ جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده عبر جريدة « العروة الوثقى » ، وماكانت رسالته سوى تحرير الانسان من الجهل والخنوع ، وأن يكون للمسلمين دولة قوية تأخذ بأسباب المدنية والعمران الموصلة الى العزة والاستقلال مع مراعاة تعاليم الاسلام الاساسية .

وقد انخرط الشيخ في النشاط السياسي فساهم في حركة « الجمعية الخيرية » التي قامت في دمشق أواخر عهد الوالي « مدحت باشا » عام ١٨٧٨ م – ١٢٩٥ هـ والتي انضم اليها عدد كبير من رجالات العرب ومفكريهم ، وكان الجميع يسعون الى احياء القومية العربية في مواجهة حملة التتريك العثمانية ، وان اختلفت طرائقهم في ذلك بين مؤيد لاستخدام القوة ضد الانفصال كلية عن الجامعة العثمانية الاسلامية . ومرجح لفكرة التجمع القومي العربي ضمن اطار الجامعة مع السعي الى اصلاح الادارة العثمانية بما يكفل تحقيق ذلك ، وكان الشيخ المغربي مع كثيرين غيره على رأسهم الشيخ رشيد رضا والامير شكيب أرسلان يرى الرأي الثاني ، خوفا من مكائد الاستعمار الاوربي ومخططاته في المنطقة . وشارك المغربي في النضال السياسي ضد الظلم والطغيان وشرع يصرح بالاصلاح الديني والاجتماعي والقومي ، ويطالب جهارا بالاصلاح الديني القائم على الرجوع الى بساطة الدين وأصوله الثابتة ، بعدما اكتنفت المفاهيم الدينية كثير من الخرافات والاوهام ، وينتقد ادارة الحكم العثماني للولايات العربية . ويعرض لاسلوبهم في الحكم القائم على المركزية المطلقة ، ومصادرة الحريات مما تسبب في تأخير الشعوب الاسلامية عن غيرها من الشعوب الاخرى . ولقد نظم قصيدة سياسية طويلة يخاطب بها السلطان العثماني عبد الحميد ، وينتقد سياسته الداخلية الرعناء انتقادا شديدا تقول بعض أبياتها :

بلّغ أمير المؤمنين نصيحة ... تبغي القبول ولا تريد ثوابا
قبر تعمّره ببدرة عسجد ... وتعيد عمران البلاد خرابا
تكسو الدعي الحلة البيضاء اذ ... تكسو الشعوب من السواد ثيابا
تجبي الضرائب من فقير مملق ... تغني بها المتملق الخلاّبا
تقصي الى الاطراف كل محنك ... وتبيت تدني النوك والاوشابا
كم من بريء صادق حكمت في ... حوبائه المتجسس الكذابا
بل هذه الخصيان كيف تقدمت ... بيض الفحول السادة الانجابا
ضيعت ملكك وامتهنت رجاله ... فعلام تحوي التاج والالقابا

وكانت القصيدة سببا في اعتقاله ودخوله السجن في بيروت عام ١٩٠٤ م (١٣٢٢ هـ) وبه أمضى ستة أشهر حيث خرج في ربيع ١٩٠٥م فارتحل الى مصر ، قاصدا الشيخ محمد عبده وبدعوة منه ، ولكن التقاءه بالشيخ الامام لم يتحقق اذ حالت منية الامام دون ذلك فانصرف الى الكتابة في جريدتي « الطاهر والمؤيد » وداعيا الى الاصلاح في شتى المجالات ، ومن المفيد أن نعرف هنا أن أول مقال كتبه في مصر كان بعنوان « التمثيل العربي » ودبج عشرات المقالات حول المسائل الدينية واللغوية والادبية والسياسية ، آخذا بروح

العصر في كلما يرى من أمور ومسائل ومن أروع مقالاته السياسية مقالته « مصر والسياسة » ثم « مصر والاقطار العربية » اللتان حلل فيهما الاوضاع السياسية داخل مصر وشكلت مقالاته عن اللغة نواة كتابه الاول « الاشتقاق والتعريب » ورغم عودته الى طرابلس سنة ١٩٠٩م بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م فقد ظل المغربي مواصلا الكتابة في الصحف المصرية ، ونشر في صحف بيروت ودمشق أفكاره الاصلاحية في جميع المسائل الاجتماعية المطروحة وخاصة قضية المرأة وتحررها وكانت مشكلة الحجاب والسفور أم المشكلات يومئذ وأثار مقاله الداعي الى تعليم المرأة وتحريرها من الحجاب غير الشرعي غضبة عاصفة حملها عليه المحافظون فترة طويلة .

وفي عام ١٩١١م (١٣٣٠هـ) أصدر جريدته « البرهان » لتنحو في الدعوة والارشاد منحى « العروة الوثقى » . وتابع نضاله فيها ، فكانت كتاباته تدور حول ضرورة اصلاح السياسة الداخلية في الدولة العثمانية ورأب صدعها ، وحول الوحدة الاسلامية داخل اطار الخلافة ، تلك الوحدة التي كان يرغب في تكوينها حتى تقف في وجه مطامع أوروبا في الشرق الاسلامي ، ولكن الشيخ المغربي اضطر الى توقيف جريدته في ٢٠ آب ١٩١٤م عندما اشتركت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى . وفي عام ١٩١٥ م اشترك مع الامير شكيب أرسلان في تأسيس كلية »صلاح الدين الايوبي « في مدينة القدس لتخريج دعاة للدين الاسلامي ، يجمعون بين الثقافتين العصرية والسلفية في فهم ووعي . ومضى يدرس فيها السيرة النبوية وفنون البلاغة والآداب العربية ، وكانت الحكومة العثمانية قد كلفته قبل ذلك في تأسيس كلية اسلامية مماثلة في المدينة المنورة . ولكن حالة الحرب حالت دون ذلك .

وعندما أزمعت الحكومة العثمانية اصدار جريدة الشرق للدعاية في الاقطار الاسلامية سمته مديرا لتحريرها . وبدأ اصدارها بهمة في نيسان ١٩١٦م وقد قطن دمشق، وتابع كتاباته الادبية واللغوية والاصلاحية على صفحاتها . وظل يدعو المسلمين الى التجديد ونبذ الخرافات والاوهام . وقد أحدث مقاله « النهضة الدينية في الامة الاسلامية » دويا في البلاد بين الشيوخ وأرباب التقليد ، ولما رحل الاتراك ورزحت بلاد الشام تحت الاحتلال الاوربي أواخر عام ١٩١٨ م لزم الشيخ المغربي داره . وعكف على التأليف والتصنيف . وقد رفض بإباء ماعرض عليه من قبل المحتلين الفرنسيين .

- ٢ -

شغلت اللغة العربية جانباكبيرا من اهتمام الشيخ المغربي ، فهي هاجسه الدائم حتى حين ينهض الى الاصلاح الاجتماعي والديني ، فقد كان يرى أن اللغة العربية بعد سباتها الطويل يجب أن تتلاءم ومقتضيات العصر ، وأن تنقل معارفه الى الناطقين بها أيا كانت مصادر هذه المعارف . ولقد دبج المقالات والبحوث العديدة حول هذه المسألة في صحف دمشق والقاهرة وبيروت . وكان قلمه ولسانه سبيل جهاده الطويل والعنيد لتحقيق ما يصبو اليه ، ويحلم بالوصول اليه. وكانت معاناته التربوية واللغوية منهل أفكاره ومجال اختباراته ، فهو يستهدف في نضاله الاصلاحي الجماهير الغفيرة ، ولا من سبيل يصله بها غير اللغة . لذلك اهتم بتيسير اللغة العربية ، وتهذيب كلماتها والسعي الى رفدها عن طريق الاشتقاق والتعريب بالمصطلحات الوافدة من اللغات الاخرى في شتى مجالات المعرفة والصناعة والسياسة والعسكرية ، يتحمل من أجل ذلك أشد العنت من بعض علماء اللغة المتزمتين ، اذ نقدوا منهجة هذا نقدا شديدا وجرحوه ، وخاصة أثناء اقامته في مصر . فكان يرد على الانتقادات كل على حده يحتج في كل رد للغة من منتقديه وفق مايرى ويؤمن . ونشر الرد في جريدة « المؤيد » فكانت هذه الردود خلال أعوام ١٩٠٦ ــ ١٩٠٩ م نواة كتابه الاول « الاشتقاق والتعريب » وقد أثبت المغربي في كتابه هذا أن الاشتقاق والتعريب هما مصدر اثراء اللغة . وأن استعمال الالفاظ المعربة لا يحط من قدر فصاحة الكلام ويحدد المغربي في مقدمة كتابه منهجه في ذلك حيث يقول: « اذا عرض لنا لفظ أعجمي ترجمناه الى لغتنا ، واذا تعذرت ترجمته اشتققناله اسما من لغتنا ، واذا تعذر ذلك استعملنا مكان الاعجمي كلمة عربية مصوغة باحدى طرق المجاز ، وان لم يكن شيء من ذلك نلجأ الى تعريبه أسوة بالمعربات السائدة في لغتنا .. » .

وبعد انهيار الخلافة العثمانية ورزوح البلاد تحت وطأة الاحتلال الاوربي . اعتكف الشيخ في داره ، وانصرف في نشاطه العلمي الى اللغة ، حتى أمسى رائدا من روادها يشار اليه في كل مكان بالبنان يدعو الى احيائها لغة تساير نهضة العلوم والفنون الحديثة ، وتواكب المكتشفات العلمية والاختراعات المتوالية . وفي عام ١٩١٩ م أنشأت حكومة الملك فيصل دائرة أسمتها « شعبة الترجمة والتأليف » لتحل الكلمات العربية محل الكلمات التركية والاوربية الشائعة في لغة دواوين الدولة . وأسندت الى المغربي ونظرائه هذه المهمة العلمية فشارك في تحقيقها بهمة ونشاط . كما أسهم في نشاط « ديوان المعارف » الذي أنشأته الحكومة وعرف فيما بعد بالمجمع العلمي العربي وسمي فيه عضوا عاملا . فخرج الشيخ عن عزلته سعيا وراء خدمة اللغة العربية ومدها بالمصطلحات العلمية الجديدة . وضرب القواعد والمثل لكل مجتهد في هذا السبيل وعكف على العمل في هذا المجمع بهمة الشباب من وضع مصطلحات علمية جديدة أو تصحيح أخطاء شائعة بين الناس ، الى القاء المحاضرات في مختلف الموضوعات دون كلل أو تعب . وقام بتدريس اللغة العربية وآدابها في معهد الحقوق العربي الذي أنشىء في دمشق عام ١٩٢٣م وكان هذ المعهد نواة الجامعة السورية، كما قام بتصحيح لغة العديد من المؤلفات العلمية للجامعة الناشئة ، ولا سيما كتب كليتي الطب والحقوق ، فأصلح لغتها وأضاف اليها ألفاظا جديدة . وقد بلغ صيته الآفاق فعين عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر عام ١٩٣٤ م وبات لا ينقطع عن السفر الى القاهرة شتاء كل عام لحضور جلسات هذا المجمع ، والمذاكرة مع اخوانه الاعضاء في شتى الموضوعات ، وتزويد مجلته بالكثير من المقالات والابحاث العلمية واللغوية .

ومن أهم مواقفه المشهورة في ردهات هذا المجمع دفاعه عن لغة الضاد ورسم حرفها ، فقد عصفت ثورته العارمة في احدى الاجتماعات بمواجهة اقتراح الاستاذ عبد العزيز فهمي بابدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي ، وكان موقفه مذكورا ، ولقد تحمل أعباء رئاسة مجمع دمشق منذ عام ١٩٣٥ م وحتى ١٩٤١م في أحرج الظروف المالية والاضطرابات السياسية، وكابد في ذلك صعوبة بالغة . وفي أوائل العام انتخب الاستاذ محمد كرد علي للرئاسة ، وانتخب المغربي نائبا للرئيس . فتعاون الشيخ مع الرئيس على دفع المجمع خطوات واسعة وقوية الى الامام . وفي نهاية عام ١٩٤١ م انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي ببغداد . فكان يمد هذه المجاميع الثلاثة بآرائه وأبحاثه الادبية واللغوية دون انقطاع ، وأعيد انتخابه عام ١٩٥٤ م نائبا للرئيس ، وسمي الاستاذ جميل مردم بك رئيسا . وكان الشيخ قد أبى أن يرشح نفسه لمنصب الرئاسة ، حتى لا تشغله الاعباء الرسمية عن الانصراف عن اهتماماته العلمية واللغوية التي ظل عاكفا عليها ليل نهار ، حتى وافته المنية يوم ٧ حزيران عام ١٩٥٦ م الموافق ٢٧ من شوال ١٣٧٥ هـ . فشيعته دمشق بموكب مهيب حتى سفح قاسيون حيث وارته الثرى مخلفا وراءه ثروة خالدة من الفكر وزادا باقيا من الابحاث اللغوية ، تلك الابحاث التي كان طموحه في مجالها كبيرا ، ذلك الطموح الذي لخصه بقوله : « اصلاح لغوي يتلاءم مع مقتضيات الزمن ، ويجعل اللغة العربية لغة سياسة وعلم وفن ».

- ٣ -

ولد المغربي عام ١٨٦٧م (١٢٨٤ هـ) في مدينة اللاذقية على الساحل السوري لاسرة عريقة في الدين والعلم والفضل ، فوالده تولى القضاء في دمشق واللاذقية ، ثم عين عضوا في مجلس ادارة ولاية طرابلس تلقى العلم على أبيه وعلماء أسرته ثم على شيوخ طرابلس وبيروت ، وما شب حتى حفظ المتون في الفقه واللغة والادب على غرار تعلم جيله ، فعين كاتبا في احدى وظائف القضاء الشرعي وما لبث بعد بضع سنين حتى رحل الى الاستانة عاصمة الخلافة والدولة عام ١٨٩٢ م طلبا للمزيد من العلم والمعرفة وسعيا وراء وظيفة أفضل وفي العاصمة التقى بعدد من رجال الفكر وعلماء العصر وعلى رأسهم الشيخ جمال الدين الافغاني الذي أحكم الصلة معه وتتلمذ على جريدته « العروة الوثقى » ولما عاد الى طرابلس من العاصمة عين عضوا في مجلس معارفها عام ١٨٩٣ م فشرع في نشر أفكاره في الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي على النهج الذي سنه أستاذه . وأخذ يدعو الى التجديد وحرية الرأي ، فضاق المتزمتون بدعوته ، وضاقت السلطات بنقده

واعتراضاته وأودعته السجن بعض الشهور حتى خرج الى مصر عام ١٩٠٥ م . وبدأ حياته فيها محررا في الصحف يدعو الى أفكار الشيخين الافغاني ومحمد عبده . ولقد شغل الناس حينا من الزمن بهذه المقالات الجريئة والبحوث اللغوية الجادة فقامت بسببها صداقات وصلات ود كثيرة وخصومات أكثر . كان الشيخ فيها طرفا رئيسيا ، ومحرضا حركة النشاط الادبي في العاصمة المصرية .

- ٤ -

كان للشيخ المغربي خلق الاسلاف الصالحين ، ودأبهم على التحصيل ، وانصرافهم الى التحقيق والتأليف ، فقد كان قلمه سيال وفكره جوال ، عالج بهما قضايا الدين واللغة والا ب معالجة اللقن الذكي المجتهد الذي لا يألوا جهدا في خدمة دينه ولغته وآدابها ، وقد خلف لنا آثارا عديدة نشر بعضها ، وما يزال بعضها الآخر مخطوطا ينتظر ، وهذه قائمة بكل منهما :

آ - الآثار المطبوعة :

١ - كتاب «الاشتقاق والتعريب» طبع عام ١٩٠٨م في القاهرة ، ثم أعيد طبعه فيها عام ١٩٤٧ م .

٢ - كتاب « السفور والحجاب » ، آراء نشرت وطبعت عام ١٩١٠ - ١٩١١ م وأعيد طبعها في دمشق عام ١٩٥٥ م

٣ - كتاب « البينات » في مجلدين طبع في القاهرة عام ١٩٢٠ م ثم أعيد طبعه عام ١٩٢٩ م .

٤ - كتاب « الاخلاق والواجبات » طبع في القاهرة عام ١٩٢٦ م

٥ - محاضرات عن « محمد (ص) والمرأة » طبعت عام ١٩٢٩ م

٦ - كتاب « جمال الدين الافغاني » - ذكريات وأحاديث : طبع عام ١٩٤٨ م في القاهرة ضمن سلسلة اقرأ .

٧ - مناظرة أدبية لغوية بين المغربي والبستاني والكرملي طبعت عام ١٩٣٥ م

٨ - تحقيق « تائية عامر بن عامر البصري » وشرحها طبع في بيروت عام ١٩٤٨ م

٩ - تفسير « جزء تبارك » طبع في القاهرة عام ١٩٤٩ م ثم أعيد طبعه في دمشق عام ١٩٥٧ م

١٠ - على هامش التفسير : طبع في القاهرة عام ١٩٤٩ م

١١ - عثرات اللسان : طبع في دمشق عام ١٩٤٩ م

١٢ - تحقيق رسالة « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » تأليف ابن كمال باشا - نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٦ م

ب - الآثار المخطوطة :

١ - المعجم اللغوي للالفاظ العصرية : وقد وصل المؤلف فيه حتى حرف الدال .

٢ - كتاب العقائد الاسلامية .

٣ - « أقرب الطرائق الى كنز الدقائق » كتاب في الفقه الحنفي .

٤ - كتاب « أحسن القصص في التاريخ النبوي المقدس » .

٥ - كتاب « فنون البلاغة » .

٦ - كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » .

٧ - شرح مقصورة ابن دريد .

٨ - كتاب طائفة الاشعار في وصف الصحاري والقفار .

٩ - التقضب أو نوادر العلوم وفرائد الآداب .

١٠ - مجموعة محاضراته التي لم تنشر وهي في مجلد ضخم .

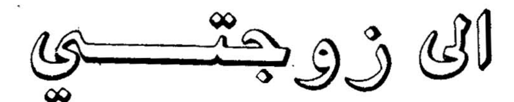
١١ - مجموعة مقالاته في الصحف والمجلات .

١٢ - التعليم بالمراسلة .

١٣ - النجم الآفل : وهي ترجمة قصة (غادة الكاميليا) وقد مثلها الشيخ سلامة حجازي .

هذا الثبت الطويل من المؤلفات ينبىء عن الجهد الذي بذل ، وعن الارادة التي تحفز ، وعن الهمة التي تحرك . ولقد أصاب المرحوم العقاد حين قال في رثائه :

(ان الاستاذ المغربي ليذكر ببحوث كثيرة في اللغة ولكنه لا يذكر في هذه الايام خاصة لبحث من بحوثه ، كما يذكر ببحثه عن الاشتقاق والتعريب) . فقد كانت مشكلات اللغة العربية هاجسه الدائم ، ومحور اهتماماته ويوم غلبه اضطراب الاحوال وتقلب الظروف عاف كل شيء الا هذا الهاجس الدائم في فكره ، فكان قدره الذي عاش له الاخلاص كله والدأب المستمر أيضا طوال عمره الذي امتد من ١٨٦٧ - ١٩٥٦ م الموافق للعام الهجري ١٢٨٤ - ١٣٧٥ هـ .



الى زوجتي

احتفالا بعيد زواجنا الخامس والعشرين

محمود البارودي

يحلو لنا العمر ، في أنحاء منزلنا ... في عالم مترع بالسحر ، مختصر

في بيتنا نجمع الدنيا ونملكها ... مستغنيين به عن سائر البشر

دنيا مصغرة ، صغنا معالمها ... على غرار الهوى المأثور بالسير

نحن اللذان على الافلاك مهبطنا ... من قبل ما هبط الرواد بالقمر

على جناح هوى ، طرنا الى فلك ... عال ، على غرر العشاق مقتصر

نشع نجمين من حب وتضحية ... نكاد نخفي ضياء الانجم الاخر

هذي العناقيد ، من أيام صبوتنا ... من كرم ذاك الهوى المقرون بالظفر

في كل حبة عنقود لنا خبر ... فكم حديث به عنا ، وكم خبر

خمس وعشرون ، من خمر معتقة ... وكل كأس بها فيض من الذكر

ونستعيد شريطا من مباهجنا ... تطل منه علينا أروع الصور

فآب(١) لفح سموم في مساربه ... وعندنا موسم للعطر والزهر

يهل فينا ربيعا زاهرا ألقا ... يصد عنا عوادي الوهن والكبر

فنحن في شعب الخمسين تحسبنا ... كأننا لم نزل في ريق العمر

لا يبصر الناس منا غير ظاهرنا ... ونلتقي في ضمير غير مستتر

كأنما جسدانا أصبحا جسدا ... من وحدة الحس والاهواء والفكر

شمس الهوى أنضجت فينا براعمنا ... حتى ازدهت عقد الاغصان بالثمر

يفيض نهر حنان من أضالعنا ... يسقي الثمار بلا من ولا كدر

كأننا (بردى) يحكي تشعبنا ... تشعب السبعة الانهار من نهر(٢)

لكل فلذة قلب شعبة ، وهوى ... يخشى عليه هبوب الريح في السحر

نعطي ونحرم نفسينا طواعية ... ونحن من لذة الحرمان في سكر

يا واحة الظل في دربي ويا سكني ... يا نفحة العطر في ديواني العطر

تزهو بك النفس أفكارا وأخيلة ... كما زهت خضرة الاعشاب بالمطر

وكل أمر عظيم نلته بيد ... وراءه منك حاد رائع الاثر

كفا بكف ، فانا بالغان مدى ... ينداح خلف حدود السمع والبصر

لما تزل في ضمير الدن قصتنا ... وحبنا كامن في خاطر الوتر

محمود البارودي

(١) عيد زواجنا في آب

(٢) عدد أولادنا سبعة

رياح كانون
وملامح المجتمع السوري

سمر روحي الفيصل

يستمد فاضل السباعي من ذاته قدرا صالحا يطرحه في مسيرة « رامي حسام الدين » بطل رواية « رياح كانون » ، بحيث يصح عندنا ـ مع قليل من التعميم ـ اعتبار الرواية تطورا في رؤية الكاتب الفنية للواقع الاجتماعي السوري في مطلع الستينات . فقد صور السباعي الحدث الروائي من وجهة نظر « رامي » الشخصية المحورية في الرواية ، بحيث تركنا نرافق البطل في حياته اليومية ، فنشهد ما يقع تحت بصره ، ونحس ما يصطرع في داخله ، على عكس الشخصيات الاخرى التي صورها في شكلها الخارجي فقط . ولعل هذا الرصد لشخصية محورية واحدة في رواية طويلة (٤٣٢ صفحة) هو الجديد في الواقعية الاجتماعية عند السباعي ، ولعله يعتز بهذا الانجاز في رسم شخصية فنية متكاملة أكثر من اعتزازه بالشهرة الرومانسية التي لقيتها روايته السابقة « ثم أزهر الحزن » .

لا نريد في هذه الدراسة استبار ما خلع السباعي من ذاته على « رامي حسام الدين » أو « فوزي المجاهد » أحد شخوص الرواية ، ممن رأينا فيه ملامح أخرى للسباعي . ذلك أننا نؤمن أن الموضوعية في ابداع الشخصيات الروائية لم تتوفر الا في عدد قليل من الروائيين العرب ، ولأننا ، أيضا ، لانرى غضاضة في هذا المزج بين الملامح الخيالية والملامح الذاتية الخاصة بالمؤلف في رسم الشخصية الروائية . ولعل السباعي واحد من الذين يوزعون صفاتهم الخاصة ، وطموحاتهم الذاتية ، على أشخاص رواياتهم ، دون أن تستقل شخصية واحدة بالملامح أو الطموحات كلها .

واذن فان النافذة الاجتماعية التي ننظر منها الى « رياح كانون » تميز بين الدراسة الفنية والدراسة الاجتماعية (السوسيولوجية) ، دون أن تغفل عن أن هذه الدراسة المضمونية محفوفة ببعض المخاطر ، وبخاصة التعميم في أجزاء من النتائج التي تخلص اليها .

- ١ -

تضعنا « رياح كانون » وجها لوجه أمام شخصية « رامي حسام الدين » القلقة المضطربة ، فتصور لنا صراعاتها الداخلية ، وطموحاتها المستقبلية ، وأزمة الابداع المستحكمة فيها ، اضافة الى تصويرها الابعاد الثلاثة الرئيسية في الرواية : الحب والاسرة والعمل .

ان « رامي حسام الدين » محام أديب ناقد ، يسكن بعيدا عن أسرته التي تقطن حيا شعبيا ، وان كان يزورها بين الفينة والاخرى لمعالجة المشكلات التي يثيرها أخوه « زكريا » . وعلى الرغم من أن أسرة رامي لاتكاد تحتاج الى مساعدته المادية ، فانها تحتاج اليه

كثيرا لتقويم اعوجاج أخيه ، أو ان اعوجاج « زكريا » في الرواية مناسبة يطلعنا فيها الكاتب على أحوال هذه الاسرة ــ الشريحة الاجتماعية . انها تتكون من ستة أشخاص : من والد رامي « فارس قصبجي » ، وأمه « آمنة » ، وأخيه الكبير « عبد الوارث » وزوجته ، ورضوان و زكريا ومليحة . انها أسرة شعبية تقليدية ، بدأت رياح التغيير تعصف بها ، سواء أكان ذلك على مستوى التعليم الذي يناله رضوان في الجامعة ، ومليحة في الاعدادية ، وزكريا في الثانوية ، أم كان على مستوى العمل الذي يمتهنه رب الاسرة حين أدخل الآلة لتقوم بجدل خيوط القصب مع خيوط الصوف أو القطن أو الحرير ، بعد أن كانت الخيوط تجدل وتلف بالوسائل التقليدية .

ان رامي ما يفتأ يذكر منبته الإجتماعي هذا حتى أصبح هاجساً من هواجسه ، فلا هو ينفصل عن هذا المنبت ولا هو يلتحم به ، ولهذا تراه قلقا يعاني صراعا نفسيا بين رغبته في مساعدة أسرته على تغيير حياتها ، وبين مكوناته النفسية التي جعلته متحللا من قيود الارتباط بهذه الاسرة (١) .

ان رامي الممثل لطبقته الاجتماعية يقف قبالة « لبنى آل الامير » الفتاة الممثلة للطبقة البرجوازية . وعلى الرغم من أننا نعرف نتفا من ملامح أسرة رامي تكفي لتوضيح الاساس الطبقي الذي يسيره ، فاننا نكاد نجهل أسرة لبنى جهلا تاما . وكل ما نعرفه عنها أنها سليلة عائلة حكمت البلاد في أخريات عهد المماليك ، ومن هنا جاء لقبها « آل الامير » . وقد خلف جد لبنى لابيها أراضي كانت بساتين مشجرة ثم دخلت في مخطط المدينة العمراني . وأن والد لبنى « عزمي آل الامير » أخذ يقوم بمشاريع كبيرة بعد احالته الى المعاش ، بل يطمح الى أكثر من ذلك ، يطمح الى منصب وزير في الحكومة ، وقد عرضت عليه الوزارة فعلا . كما أننا نلمح أجزاء من صورة الاسرة في تصرفات لبنى الشخصية ، فنشهد اسرة غنية، تسمح لابنتها، لبنى بأن تغادر البلاد السورية الى لبنان للدراسة في الجامعة الامريكية ببيروت، وتمدها بحاجاتها المادية والمعنوية دون تدقيق في سلوكياتها أو تصرفاتها الخاصة ، بل ان هذه الاسرة لا ترضى لابنتها أن تمتهن عملا بعد تخرجها من الجامعة لأن الثقافة عندها للثقافة لا للعمل !!.

ويخيل الينا أن السباعي أراد تصوير اللقاء بين هاتين الطبقتين الاجتماعيتين على مستوى العلاقات الشخصية بين رامي ولبنى ، دون أن يهمل ملء الساحة الفارغة بين الطبقتين بطبقة جديدة ناشئة هي طبقة شخوص النادي ، طبقة البرجوازية الصغيرة الناشئة بما تحمله من طموحات مستقبلية وصراعات نفسية . ومن الملاحظ أن كثيرا من أبناء هذه الطبقة ــ وهم هنا أعضاء النادي الادبي الذي ينتسبون اليه ــ من كتّاب القصة : بهاء الدين عاشور ــ فوزي المجاهد ــ خالص نعماني ــ ياسر عطري ــ عبد المعين هدايت ، ومنهم من يمتهن المحاماة أيضا ، مما يذكرنا بالمؤلف نفسه(٢) وقد مارس المحاماة في بداية حياته العملية . كما أن هذه الملاحظة تدل دلالة كافية على أن شخوص الرواية ــ وبخاصة من ذكرنا من أعضاء النادي ــ مجندون من قبل السباعي المؤلف لخدمة رامي الشخصية المحورية في الرواية ، أو لتسجيل ردود أفعاله المباشرة .

ولا ينسى السباعي أن يضع في الساحة الفارغة أيضا شخصيتين هامشيتين من أبناء طبقة رامي الاجتماعية ، ليكونا صلة الوصل بين الطبقتين في الرواية كلها بما يحملانه من مفاهيم ومعتقدات . وهاتان الشخصيتان هما أبوعقيل آذن المركز الثقافي ، و «هدية» خالة رامي التي تقوم بتدبير شؤون منزله دون أن تتخذه سكنا لها .

ان السباعي يصور لنا هذا كله في الفصول الثلاثة الاولى من الرواية(٣) ، بحيث يمهد بها للقاء التالي بين رامي ولبنى ، بين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الكبيرة . وما دام المؤلف قد ارتأى أن يكون هذا اللقاء على مستوى العلاقات الشخصية ، فقد مهد في الفصول المذكورة للحدث الروائي الذي يريد أن ينسرب اللقاء خلاله . لقد جعل رامي ناقدا أديبا ذا شهرة واسعة في نقد الرواية ، كما جعله يتوق الى ابداع رواية خاصة به ثم وضع في طريقه لبنى آل الامير ، فجعلها تكتب رواية تعرضها على رامي لترى رأيه فيها . واذن فقد جمع الادب بين أبناء الطبقتين ، كما جمع شخوص النادي ، فاستوى الامر للمؤلف، وأخذ يبسط القول في الفصول الاخرى عن أزمة رامي الابداعية ، أو قل انه اتخذ أزمة الابداع عند رامي وسيلة لتحقيق اللقاء بين الطبقتين .

- ٢ -

ان رامي مأزوم(٤)، وأزمته أزمة ابداع . انه يكتب دراسات في « طريقنا الى الادب الصحيح »(٥) ، ويحاضر في « الزمن في الرواية الحديثة »(٦) ، ويناقش في « الادب العربي الحديث »(٧) ، ولكنه عاجز عن كتابة رواية خاصة به . ان قسوة رامي ، ناقدا ، في محاسبة الروائيين ، قد أبعدته عن أن يكون له عمل روائي ، ولذلك تركه المؤلف يدخل غمار تجربة كبيرة .

لقد تعرف رامي في المركز الثقافي على لبنى آل الامير الفتاة البرجوازية الجميلة . وفي أول حوار بينهما تخبره أنها كتبت رواية ، فيختلط الامر عنده ، اذ انه يحاول أن يستميل الفتاة ولكن « لامس اعلانها الفراغ من وضع روايتها في قلبه وترا تردد له في نفسه صدى بعيد»(٨) . لقد بدأنا مع هذه العبارة نمسك أول خيوط أزمة رامي وسنتابعها في بقية حواره مع لبنى في المركز ، وفي أماكن كثيرة من صفحات الرواية . ففي الحوار عينه نرى رامي يعود الى نفسه مرة أخرى « مستذكرا عديد المحاولات اليائسة التي بذلها في وضع عمل روائي ... وها هي فتاة ناشئة تكتب وتمضي الى غايتها رغم كل شيء »(٩) . ان أزمته تملك عليه تفكيره ، ففي حين يفكر في أن يستميل الفتاة يخاطب نفسه : « ان علاقة ما ، يؤسسها مع هذه الخضراء العمر، كفيلة بأن تلهمه أعظم رواية في آداب الدنيا » . واذن فقد وجد رامي في استمالة الفتاة موضوعا للرواية ، وموضوعا للهو في آن معا ، ولكن الاول أقوى تأثيرا في نفسه « واتخذ قراره: لسوف آخذ بيدها في شعاب الفن. وهتف لسانه عاليا : أنت مقبل منذ غد على أمر ... وفكر وهو يرقى درج النادي : عشر محاولات مغيبة في درج مكتبي»(١٠) .

ليست الرغبة في استمالة الفتاة هي التي دفعت رامي لعرض مساعدته في اعادة صوغ رواية لبنى ، اذ ان أزمته النفسية هي التي دفعته ــ في حقيقة الامر ــ الى ذلك ، فلعله ــ وهذا هو شعوره الاصيل ــ واجد في تلك المساعدة ما عجز عن تحقيقه لنفسه ، واجد فيها تحقيق طموحاته المستقبلية التي كافح طويلا من أجلها وترك أسرته بسببها ، وكأنه بذلك يسقط ما عنده من رغبات معاقة عن التنفيذ على لبنى وروايتها ، في محاولة نفسية للتخلص من الآثار السلبية للازمة . انه ركود نفسي أصيب به رامي ، ولا خلاص منه بغير محرك نفسي قوي مزلزل . وقد توصل « خالص نعماني » ــ أحد شخوص الرواية ــ الى موطن الداء ، فوصفه لرامي في الجملة التالية : « يوم يحين لك ، يا رامي ، أن تحب المرأة الى درجة العبادة ، فسوف تستحيل البحيرة الساكنة في أعماق نفسك الى بحر صاخب هدار »(١١) ان رامي بحيرة ساكنة ، وتلك هي أزمته الحقيقية في رأي « خالص » ، وهو يتوق ــ لا شعوريا ــ أن يصير بحرا صاخبا ، والتقرب من لبنى هو الطريق الصحيحة لذلك . ولهذا لا يجد قارىء الرواية غرابة في تطور رغبة رامي في امتلاك لبنى الى حب حقيقي ، تطلبه نفسه وتمهد له الطريق . فبعد أن ترك النادي ، عاد الى منزله وهو يخاطب ذاته قائلا : « ما يكون شأنك بعد يا رامي ؟ هل تخلف لبنى آل الامير أثرا في حياتك ؟ البحيرة الساكنة يحسها اضطربت بين جنبيه اليوم بعض الاضطراب »(١٢) .

ان رواية لبنى التافهة تتحول بين يدي رامي الى رواية جديرة بالاهتمام ، عنوانها « أحزان الى الابد » ولكن لبنى لا تنظر الى رامي بمنظار الحب، وانما بمنظار المنفعة . فحين ينهي رامي صوغ روايتها ، ويبلغ حبه أوجه، وتبلغ أزمته مداها حين يشعر باخفاقه في اخضاع هذه البرجوازية ، تسافر هي الى بيروت « لتسويق » روايتها ، ويطول غيابها عنه ، وهو يتسقط أخبارها أولا بأول. انها تعود أخيرا لتؤكد له صحة الاخبار التي وصلته عن علاقاتها وسهراتها ، بل انها تصرح له بعلاقة جنسية جددتها مع زميل قديم لها في الجامعة ، فتثور ثائرته ، أو يثور الرجل في نفسه ، فقد بدأت شكوكه تزداد في أثناء غيابها ، وها هي تصرح له بما يؤكد ظنونه لكن لسانه يعجل معلنا : « ولو ... » ثم يدرك « كم جمح منه اللسان »(١٣) ، ويبدأ يشعر بالضعة والهوان وتبرز « الدونية » التي يستشعرها ازاء تربيتها البرجوازية . ان اتحاد الضعة والهوان والدونية مع الرجل الثائر في نفس رامي ، هو الذي دعاه الى أن يقرع نفسه :

« ثم يعجل لسانك الى اعلان الرضا ؟! ولو .. يا أيها النغل البليد !

أخرج يده من جيبه . لا يحس بردا : أية مهانة !

وخاطب ذاتـه :

ـ لقد أحالت هذه الفتاة بحيرة نفسك الى بحر صاخب هـدار ! بثت في أرجائك الاضطراب ، أعظم الاضطراب »(١٤) .

لقد كان هـذا الشعور بالضعة بدايـة النهاية في أزمة الابداع عنـد رامي ، فالبحيرة الساكنة قـد تـم اضطرابها ، وهو يستطيع الآن كتابة الرواية التي يحلم بها . وها هو يجد موضوعا جديرا بالكتابة :

« وحرض نفسه من جديد : عليه أن يتحللّ مـن أدرانه ، ليبدع رواية ... ليكتب قصته معها »(١٥) .

ـ ٣ ـ

« وفكر : هي بنت أمير .. وأنـا ابن قصبجي ! لو أنهـا تضع قلبها على كفها وتهبه ايـاه : دونك قلبي ودعني أعيش معـك .. اذن لانقلب يرد عليها هبتهـا معتذرا . طبقتان على طرفي نقيض ! الـدارة ،والـدار الشعبية ! بحسبه أنهـا صديقة لـه تخطب وده ، ود ما وهب من ثقافة وأدب ! وخاطب ذاتـه : لو لـم تكن الناقد رامي حسام الدين لما سعت اليك لبنىآل الامير، سليلة الامـراء وكريمة ذلك المرشح لان يشغل منصب وزير ... »(١٦) .

ان هذا نص من النصوص الكثيرة التي يناجي فيها رامي نفسه ، فيعقد تلك المقارنة بين طبقته الاجتماعية وطبقة لبنى ، ويرى الهـوة الكبيرة بينهما : « طبقتـان متباعدتان : صانع ووزير »(١٧) . كما أن قلقه الاساسي قلق لا انتمائيته ، ما يفتأ يرفع رأسه عاليـا في أرجـاء الرواية كلهـا :

« وفكر في أسى : ان في اللحظات ذاتهـا ، حيث كنت أمضي مع لبنى أجمل الهنيهات ، كان ثمة معركة حقيقيـة في بيت الحـاج فـارس قصبجي ، في بيت أهلي »(١٨) .

على الرغم من هذه اللاانتمائية، وهذا القلق الناتج عنها ، فان لقاء رامي بلبنى قد تم عبر علاقات شخصية خاصة تمثل في جوهرها اللقاء بين الطبقتين المتباعدتين لقد كان اللقاء من خلال أزمة الابداع عند رامي ، ولقد انتهى هذه النهاية الطبيعية المحتومة ، وذلك هو الجديد في الواقعية الاجتماعية في هـذه الرواية ، اذ لـم يكن بالامكان ـ في أي حال من الاحوال ـ أن يتم لقاء حقيقي مثمر بين الطبقتين ، لان كل علاقـة اجتماعية بينهمـا ما هي الا علاقة نفعيـة . ان لبنـى البرجوازية قـد استخدمت رامي مطيـة لتحقيق غرضهـا الخاص ، استخدمته لترقى على كتفيه سلم الادب ، بل انها ظلت في حاجة اليه ليساعدها ، ولكنها لا تريد أن تقترن به . انها أعجبت به اعجابا حقيقيا ولكنه أحبها ، سواء أكـان حبه حقيقة أم تعويضا نفسيا عن القلق الذي يستشعره بـين منبته وطموحاته . وبرغـم ذلك القلق والصـراع النفسي الذي استحوذ عليه ، فانه لم يرضخ ولـم تلن قناته ، بل ثار على الحب في نفسـه ، وقضى على صراعاته الداخلية حين أيقن بعدم جدوى اللقاء بين الطبقتين ، حين عرف طريقه :

« وأخط في مذاكرتي سطرا راعفا :
ـ لماذا أنت حزين ، يا رامي ؟
أخاطب في المرآة نفسي . آخذ جرعة :
ـ انه البون !
أكتب خواطري .. خاطرة خاطرة !
ـ أخوك حقير ! وأبوك فقير ! وأبو لبنى امير يوشك ان يسمى وزيرا ! »(١٩) .

ان احساسه المتعاظم بهذه الهوة بين الطبقتين لم يدفعـه الى اليأس والتشاؤم ، بـل دفعه الى تعميق الاحساس « بالدونيـة » التي يستشعرها ازاء هـذه الطبقة البرجوازية . ولعله ، اذ حسم أمره ، قادر على أن يكون شيئا عظيما :

« ان في وسعي ، اذن ، مع الجهد أبذله ، أن أغدو وزيرا . وان في وسعي ، مـع الجهد أبذلـه ، أن أكتب رواية لي أولى . ان بنفسي أن أشـرع لتوي في عملية مخاض . « الحوادث » تختزنها واعيتي وتمتلىء بها هذه الصفحات أمامي . وبالفن أنسق « مادتي » وأصهرها في بوتقة التجربة »(٢٠) .

ان هذه الرؤية الفنية لطموحات الطبقة الاجتماعية السورية في الخمسينات من هذا القرن . وهي تؤكـد الحضاري بعـد الاستقلال ، هي رؤية سليمة للمـدن السورية في الخمسينات من هذا القرن . وهي تؤكـد موقف السباعي من هذا الصراع ، ذلك الموقف المؤمـن بأهمية القطاع الجديد الناشىء ، الذي بـدأ يتكون في المجتمع السوري ، ودور هذا القطاع في عملية التغيير تهب على أسرته من أول الرواية فيدخل أبوه الآلة الى عمله التقليدي ، ويذكر اقناعـه لهـذا الاب بالسماح لـ « مليحـة » بالذهاب الى المدرسـة « بالاشارب » ،

وثورة زكريا على حياة الاسرة الرتيبة لعدم قدرتها على امداده بحاجاته من المال . ان ذلك كله موجود الى جانب بقاء عبد الوارث أميا يشارك أباه في العمل ، ويكتفي من حياته بزوجة يلقاها في المنزل حين يعود مساء من عمله.

ومع هذا فلم تطف هذه الرؤية الفنية على سطح الرواية لبراعة السباعي في استخدام أدواته الروائية ، فبقيت في الاعماق مستترة بأزمة الابداع التي استهوت المؤلف فراح يتبعها خطوة اثر خطوة على المستويين النفسي الداخلي والخارجي لشخصية رامي . وكأن السباعي المؤمن بمقدرة أسلوبه على الامتاع ، وبحنكته في رسم الحبكة الروائية ، ورغبته الخاصة في كتابة عمل يستمد من الذات قدرا أكبر مما يستمد من الحياة قد أبعده عن أن يترك لمضمون روايته الاجتماعي أن يعلن عن نفسه بوضوح في الرواية . وان في دراسة « الزمن في رياح كانون »(٢١) دليلا كافيا على براعة المؤلف ودرايته بما يقوم به ، اذ جعل الرواية في واحد وأربعين يوما فقط ، وكانت نصف هذه الايام (عشرون يوما في ٣٥٦ صفحة من الرواية البالغة ٤٣٢ صفحة) هي الرواية كلها اذ هي أيام لقاء رامي بلبنى ، في حين أن النصف الآخر تصوير لما اعتمل في نفس رامي في أثناء غياب لبنى في بيروت ، ولا غرو أن يكون هذا النصف الثاني كثير الايام (عشرون يوما أيضا) قليل الصفحات (٤١ صفحة فقط) لان تصوير الصراع النفسي عبء كبير على الكاتب كما هو على الشخصية تماما . ان هذا الضيق في المهاد الزمني للرواية احتاج من المؤلف تعميق اللحظة الزمنية ليستطيع سبر نظيرها من اللحظة النفسية ، مما جعله يتعمق ذاته في خلق شخصية رامي ، دون أن يلقي كبير اهتمام الى توضيح رؤيته الفنية الاجتماعية ، وان كنا لا ننسى أن هذه الشخصية هي في حد ذاتها مسرب الرؤية والدليل عليها في آن معا .

- ٤ -

ان « رياح كانون » كمثيلاتها من الروايات السورية التي كتبت في النصف الاول من الستينات ، لم تلق الاهتمام اللائق بها درسا وتحليلا . ولقد آن الاوان ، ونحن في مرحلة التأثيل الروائي والقصصي عموما ، ان نعير هذه الفترة التفاتة خاصة ، لان الرواية السورية قد تطورت فيها تطورا ملموسا ، وقفزت قفزات واضحة بحيث فارقتها شؤون فنية قديمة ، ودخلتها شؤون وأسماء جديدة ، ففدت أبعد عن الواقعية العاطفية ، وأقرب الى الواقعية الانسانية . ولا شك أن الدراسات المضمونية لهذه الروايات وبخاصة : سلاسل الماضي — غرباء في أوطاننا — شرخ في تاريخ طويل — اللااجتماعيون — حسن جبل — ملح الارض — ثم أزهر الحزن ، تعيننا على سبر المجتمع العربي عموما والسوري خاصة في هذه الفترة كما توضح أمامنا نهج الدراسة السوسيولوجية لهذا الواقع، وفي ذلك مافيه من تقنين للعملية النقدية، اذ ان كل عمل أدبي يحاول أن يقول شيئا عن المجتمع الذي نشأ فيه .

● **سمر روحي الفيصل**

(١) : يتضح تحلل رامي من الرابطة الاسرية في تغييره اسمه من « محمد رامي القصبجي » الى « رامي حسام الدين » !!

(٢) : درس فاضل السباعي الحقوق بجامعة القاهرة (١٩٥٠— ١٩٥٤) ، ومارس المحاماة في مدينة حلب ، قبل أن يعمل موظفا في وزارات الدولة منذ آذار ١٩٥٧ وهو الآن مدير الشؤون الثقافية بجامعة دمشق .

(٣) : أوردنا بعض الملاحظات من غير الفصول الثلاثة المذكورة استكمالا للصورة التي عرضناها ، وبخاصة ما ذكرناه عن أسرة لبنى آل الامير .

(٤) : سبق أن تحدثنا عن هذا الامر في دراستنا « رياح كانون وأزمة الشخصية المحورية » . راجع مجلة « أفكار » الاردنية ، العدد ٣٣ ، تشرين الثاني ١٩٧٦

(٥) : رياح كانون — ص ٢٢

(٦) : رياح كانون — الفصل التاسع

(٧) : رياح كانون — ص ٢٦٤

(٨) : رياح كانون — ص ٢٧

(٩) : رياح كانون — ص ٢٩

(١٠) : رياح كانون — ص ٣٤

(١١) : رياح كانون — ص ٥٠

(١٢) : رياح كانون — ص ٥٤

(١٣) : رياح كانون — ص ٤١٧

(١٤) : رياح كانون — ص ٤٢٣ — ٤٢٤

(١٥) : رياح كانون — ص ٤٢٤

(١٦) : رياح كانون — ص ١٤٠

(١٧) : رياح كانون — ص ١٢٣

(١٨) : رياح كانون — ص ٢٤٣

(١٩) : رياح كانون — ص ٣٩٩

(٢٠) : رياح كانون — ص ٣٩٢

(٢١) : ان شئت تفصيل هذه النقطة راجع دراستنا في مجلة « أفكار » الاردنية ، العدد ٣٣

خطأ الديالكتيكية

في تفسير التطــور المــادي

علي ونوس خنسة

يبدو ان ماركس وانجلز معذوران في تفسيرهما لتطور المادة لانهما عاشا في عصر كانت الكلمة :الاولى فيه للفلسفة والفلسفة ما هي الا محاولة العقل البشري للوصول الـى الحقيقة عن طريق اعمال الفكر في الموضوعات التي تبحثها ولكن من المعلوم أن الفلاسفة من لدن سقراط حتى هـذه الساعة لم يصلوا الى حقيقة مسلم بها بل اختلفوا وما زالوا مختلفين الى ان يرث الله الارض وما عليها ، ولكن غـرور بعضهم أخذ يفرض تفسيره العقلي على المادة ويضفي علـى استنتاجاته طابعا علميا لا يقبل الشك غير ان التقدم العلمي في ميادينه التجريبية سخر من تعليل ماركس وانجلز وتفسيرهما لحركة المادة وأبطل نتائج بحثهما المغلوطة ،وأعتقد لو اتيح لماركس وانجلز أن يعيشا في هذا القرن ويشهدا ما حققه العلم من تقدم يهدم الحقائق التي توهماها لتراجعا عن نظريتيهما ولننظر الان في ضوء العلم الى التفسير الديالكتيكي لحركـة المادة ٠

يقول الديالكتيكيون ان الاشياء تنتج عن حركة في المادة وان هذه الحركة تنبثق ذاتيا من المادة نفسها لاحتوائها على النقائض ونشوب الصراع الداخلي بين تلك النقائض ٠

واذا طبقنا المنهج العلمي والحقائق العلمية على هذا التفسير الديالكتيكي نرى أن العناصر البسيطة عدة أنواع ولكل عنصر بسيط رقما ذاتيا يخصه دون غيره وكلما كان العنصر أرقى كان رقمه أكثر حتـى ينتهـي التسلسل الى اليورانيوم الذي يعتبر أرقى العناصر وأعلاها درجة ٠

وبين العلم أن مادة العناصر البسيطة واحدة ومشتركة في الجميع والسؤال الآن كيف وجدت العناصـر العديـدة المتنوعة من تلك المادة البسيطة المشتركة ٠

فالجواب على أساس الديالكتيك الماركسي ،يتلخص في أن المادة تطورت من مرحلة الى أخرى أرقى حتى بلغـت درجة اليورانيوم وبناء على هذا يجب أن يكـون عنصـر الهدروجين هو البداية في هذا التطور باعتباره أخف العناصر البسيطة فالهدروجين يتطور ديالكتيكيا بسبب التناقض الداخلي فيه فيصبح من منطلق التطور الديالكتيكي عنصرا أرقى وهذا العنصر الثاني ينطوي على نقيضه فيشتعل الصراع في داخله حتى يتحول الى عنصر ثالث وهكذا تستمر السلسلة طبقـا للمدور الذري هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكن أن يقدمه الديالكتيك ليتلاءم مع ديناميكية المادة ولكن هذا التفسيـر خاطيء من الناحية العلمية لان الهدروجين لو كان يشتمـل على نقيضه ذاتيا ولو كان متطورا بسبب هذا التناقض الذاتي طبقا لقوانين الديالكتيك فلماذا لم تتكامل وتتطور جميع ذرات الهدروجين وكيف اختص التطور بذرات هيدروجينية فتكاملت ووصلت الى نهاية سلم العناصر الذري وبقيت الذرات الهدرجينية الاخرى دون تكامل وتطور وهل يصح في قانون العلم ان تتطور بعض ذرات الهدروجين ذاتيا وتتكامل ذاتيـا دون الاخرى ان التكامل والتطور الذاتي لا يعرف التخصيص ٠

فلو كانت عوامل التطور والترقي موجودة ذاتيـا في صميم المادة الازلية اختلفت اثار تلك العوامل ولما اختصت

بمجموعة معينة من الهيدروجين مثلا تحولها الى هليوم وتترك باقي ذرات الهدروجين الاخرى •

ان نواة الهدروجين ـ البروتون ـ اذا حملت في ذاتها نفيها اي نقيضها وحدث التطور داخلها تبعا لذلك واصبحت بروتينين بدل بروتون واحد كما تقضي قوانين الديالكتيك المادي لنتج عن ذلك زوال الماء عن وجه الارض تماما لان الطبيعة اذا فقدت نوى ذرات الهدرجين وتحولت جميعها الى نوى ذرات الهليوم بناء على التطور الديالكتيكي لم يكن من الممكن ان يوجد ماء على الاطلاق •

فما هو السبب الذي جعل تطور الهدرجين الى هيليوم يقتصر على كمية معينة من الهدروجين وترك باقي وخلصه من التطور الجبري كما تزعم الديالكتيكية الماركسية

واذا انتقلنا الى تطبيق قوانين الديالكتيك على المركبات لنرى استحالة حدوثه فالماء على سبيل المثال اذا كان قد سكون على اساس قوانين الديالكتيك فمعنى ذلك أن الهيدرجين يعتبر اثباتا وهذا الاثبات يتولد فيه نفيه او نقيضه ذاتيا فينتج الاوكسجين ثم يتحد النفي والاثبات معا ويتكون الماء الذي اجتمع فيه النفي والاثبات معا وحصل نتيجة للصراع الديالكتيكي بين النفي والاثبات والسؤال الان لماذا تم هذا التكامل وذلك الصراع في ذرات هدروجينية دون الاخرى لان منطلق قوانين الديالكتيك ان يكون الصراع في كل ذرات الهيدروجين في الكون لان القانون لا يعرف الاستثناء وتخصيص ذرات دون اخرى اذ نجد ان الماء موجود وكذلك الهيدروجين المستقل موجود مع ان القانون الديالكتيكي يقتضي تحويل جميع ذرات الهيدروجين الى ماء عن طريق الصراع الذاتي بين النفي والاثبات في ذرات الهيدروجين والعلم قطعا يدحض هذا التعليل وواقع الكون كذلك والحقيقة العلمية في هذا الخصوص تقول ان التطورات والتحولات في المادة ناشئة عن عوامل طبيعية خارج المحتوى الذاتي للمادة وهذه العوامل تتسلل حتى تصل في نهاية التحليل النفسي الى مبدأ وراء الطبيعة لا الى المادة ذاتها •

والخلاصة هي : ان وحدة المادة الاصلية للعالم التي برهن عليها العلم وتنوعاتها المختلفة التي عللها العلم التجريبي ودلل هذا العلم على ان التنوع والتطور في المادة عرضي وليس ذاتيا ووضح ان التنوعات والاتجاهات لا يكمن في المادة ذاتها بل في سبب ذلك فوق حدود الطبيعة ترجع اليه جميع العوامل الطبيعية الخارجية وقوانينها التي تعمل باستمرار على تنويع المادة وتحدد اتجاهاتها •

علي ونوس خنسة ـ السلمية

قطاف الاحلام

صدر في دمشق كتاب ـ قطاف الاحلام ـ لعبد الرحمن النابلسي يضم عشرين رسالة بوح ، اهداها : ـ الى التي تركت كل ما تريد لتمنحني كل ما أريد ، الى ـ حبيبة ـ اهدي هذا الكتاب ـ . وقدمه ياسر المالح بقوله: ـ عبد الرحمن احتفظ بسجله ، وهو يعتز به ايما اعتزاز ، لانه يرى فيه حياة شبابه ، ولكل امرىء ان يعتز بما يشاء فهذا امر يخصه وحده ، ولكني اعجب لعبد الرحمن كيف يريد ان ينشر ما كتب على الناس . قلت له : ياصديقي هذا ادب ذاتي مضى عهده وانتهى . ولا أرى فائدة تجنيها من نشره في هذا العصر المادي الذي بات لا يحفل القراء فيه بهذا النوع من الادب . تغير التفكير وتبدل وجاوز المرحلة الرومانية الى المرحلة الواقعية . قال : ـ اليس من حقي ان انشر ما كنت احس به صادقا؟ اليس الادب تجربة انسانية صادقة ؟ قلت له : هذا حق ، ولكن تجربتك لم تبق نفسك ، انها ذكرياتك وحدك . ولا يشركك فيها احد ، من الناس . الا اذا كان في ريعان الصبا، وقد يتفق معك او يختلف ، وانا لا انكر انني استمتعت بصياغك الجميلة وصورك الاخاذة ، لكنني اعتبر هذه المتعة ترفا . قال لي : اتكتب هذا في المقدمة ؟ قلت : اكتب . ولكني ارجو ان ارى مجموعة قصصك منشورة بعد هذا المؤلف فيها تبنى مجدك الادبي ، وبها يعرفك القراء حق المعرفة . ولا بأس ان تنشر انتاجك وفق تسلسله الزمني فذلك ادعى الى تاريخ حياتك في مسيرتها المنظورة . اما بعد ، فهذه خواطر محب صادق كتبها عبد الرحمن في سنوات خلت وهي مجموعها قصة حبه المتعثر . وهي أن لم تبلغ رسائل الاحزان واوراق الورد تحوي رونقا ورواء ـ .

الكتاب في ١٩٢ صفحة من القطع الوسط العريض ، عن دار اليقظة العربية للتأليف، والترجمة والنشر.

من كتاب الحركة الشعرية في حمص

مروان اتماز السباعي

شاعريه متدفقة ...

تعتمد التسجيل من خلال المواقف

قبل التعبير من خلال الفن

محمد غازي التدمري

المطلع على الاثار الفنية عموما ، يجد انها تحمل بجوهرها نوعين من الفن ·

نوع ينتمي الى الفن الاصيل من خلال تجاربه الشخصية ، معتمدا على حس واع ·· والتحام مع الحدث ، من خلال ذوبانه المطلق مع ذاته·· ليبلور ارهاصاته الداخلية ،اثارا تكون صورة صادقة ومعبرة عن هذه المعاناة · ونوع آخر يتجه بالفن اتجاها معاكسا ·· يميل الى الكسب والتجارةعن طريق النشر واراقة ماء وجه الكلمة على عتبات الصحف والمجلات الادبية · في هذا النوع من الفن تتحول الكلمة الى يضع بذهنه خدمة الفن،ولذلكما تتبخر قيمته الفنية،وتضيع وسيلة لتحقيق هدف مادي ·· يسعى الفنان اليه قبل أن بسرعة معالمه في زحمة العطاءات الجادة· في النوع الاول· تنطوي عدة اتجاهات ·· وتيارات فنية ·· يحاول الفنان اعتمادها من خلال تجاربه المتفاعلة مع الحياة ، التي تفتح امامه نافذة عريضة،يطل منها على مسرح الاحداث العامة والخاصة فتتوزع المعاناة في عدة اتجاهات تكون الغاية منها : الوصول الى الصيغة النهائية التي يعبر خلالها عن معاناته وتجاربه ·

والفنان في ذلك لا يعتمد النشر حافزا للعطاء كما في النوع الثاني وانما الحافز عنده يكمن في خلفيات المواقف التي تتداخل مع انفعالات النفس التي تعدل من توازنها بعد ان تعيش مراحل مختلفة من القلق ·· والفرح ···· والاضطراب نتيجة الالتصاق المتفاعل مع كل ما يحيط به ، فيكون الاثر بصياغته الاخيرة متنفسا لهذه المعاناة المتصارعة والمنفعلة في ذات الفنان ·

ولذلك ·· ليس المهم في هذا الموقف ··أن يقال :انك شاعر ، ولك صولات وجولات في عالم الفن ·· وانه لولاك لكان في تقهقر وانحدار شديدين · فكل الكليشهات تتضاءل كما تسقط الاقنعة أمام المعاناة المتجهة بالفن نحو شواطىء الوعي والادراك · فما دام الهدف من المعاناة نقل الاحساس الداخلي على مساحة الورق لترتاح النفس وتهدأ العواطف فان أي قيد فني لن يكون قادرا على حصر هذه الاثار ··· لانها وليدة ظرف طارىء ·· ونتيجة معايشة مفاجئة ، فالموقف يتخذ هنا ، وضعا خاصا يرسمه الفنان ، من خلال معاناته الضيقة ، ان انه يبقى بوحا فنيا يعطي دلالة واضحة على شخصية الفنان ، خلال تفاعله مع الاحداث التي يعيشها داخل أو خارج نفسه · ومن هنا فان اية محاولة لاسقاط التجارب الذاتية من الفن هي محاولة خاطئة ، لان الكل لا ينفصل عن الجزء ·· كما أن الجزء لايستطيع الا أن يكمل الكل ، فهما ملتحمان في دائرة الفن الواحدة والحدث مهما كانت طبيعته يبقى حافزا على الولادة والعطاء ، وكل العطاءات لا يمكن الا وأن تساهم في بلورة الاطار العام لمسيرة الفن خلال فترة زمانية محدودة ،وعلى مساحة مكانية واضحة ·

من هذا المنطلق نستطيع أن ندخل عالم الشاعر مروان اتماز السباعي ·· ذلك العالم المختلف الاعراف ، المتعدد الاصناف ·· المتلون بكل الالوان الجميلة والعامة ·· وقد حمل تلون النفس بكامل معاناتها المختلفة ، وهذه المعاناة لم يكن حب النشر والانتشار حافزا على تصورها وانما كان الشعر قاربا طالما امتطاه في خضم حياته الصاخبة ولذلك ·· لن

تجد في تجاربه العامة لونا فنيا معينا ٠٠ لان المعاناة موزعة بين عدة اتجاهات حملت عدة اسماء ٠٠ فيها المداعبة الرقيقة والطرفة الهادفة والمساجلة الفنية الممتعة ٠٠ الممتدة جسور محبة بينة وبين الشعراء ٠٠ اضافة الى التجارب الوجدانية والذاتية وقد توزعت خطوطها ٠٠ وتشاكلت مستويات الابداع فيها ٠٠ لتصب في النهاية بمصب واحد حمل صورة الشاعر الذي عاش الحدث فاعلا ومنفعلا ٠٠ مصورا ومسجلا عاشقا ومازحا ٠٠ فالمواقف تشغل في شعره مساحة واسعة ٠٠ لانه يعتمد المواقف اصلا في التجربة ٠٠ والتعبير فرعا فيها وهذا التجاوز جعل الاثار تتجاوز مراحل الانفعال الداخلية وتتخطى المعاناة المهيأة مسبقا ٠٠ فجاءت نتيجة ذلك عفو الخاطر ٠ يشاهد الشاعر فتاة جميلة ينظر في عينيها الجميلتين فيشعر بنداء خفي يدعوه ٠٠ فيخجل من ذلك ٠٠ ويعيد النظر فيلمس حرارة النداء فيتجرأ ويرغب ٠٠ فتختفي من أمامه ويعود ليقول :

ترفعت عن حب الحسان تعاليا
واسقطت من جنبي الجياد الغواليا

وجافيت حتى قيل أني جامد
وان فؤادي صار كالصخر قاسيا

ورب حنان في الجوانح خامد
دعاه رفيف الحسن فارتد عاتيا

ومرت كانفاس الربيع يلفها
من الحسن برد يسلب اللب ساريا

واومت باهداب تخال صيالها
على جيش حبات القلوب عواليا

ويتابع في وصف موقفه من هذه العيون الاسرة التي نادته ليتخلى عن ابراجه ٠٠ ويعود الى طبيعته المجردة ، فلا يضن بذلك بل يستجيب فورا بعد أن ذاب بنظراتها التي افقدته توازنه :

وما عدت ادري اذ غزاني جمالها
اتضمر حبا مثل حبي تجاهيا

ولكنني مازلت انتهب الندى نديا
وأجنى موسم الحسن زاهيا

جمال وادلال وصد ورغبة
تضافرن حسنا فامتلكن عنانيا

عشقتك الهاما ووحيا ونشوة
واسلمت طوعا للعيون قياديا

لعينيك ما عانيت واخترت من أسى
فلولاك لم اختر ولم ابق عاتيا

فسبحان من اعطاك جوهر حسنه
واعطى فؤادي نشوة الحب راضيا

فهو وان اراد ان يقنعنا بأنه متردد في اهوائه ٠٠ ومتصلب بمواقفه من المرأة ٠٠ فانه لا يستطيع ذلك ٠٠ لان هذا الموقف المتردد يختفي في تجاربه الباقية ٠٠ حيث نراه طوع ايماءة الحسن وطرفة عين الجمال ٠

فبعد أن آب من رحلة طويلة يعود فيقدم لزوجته ٠٠٠ ملهمة شعره الوجداني ٠٠ زجاجة عطر وبطاقة شعر يقول فيها :

هذي النسائم من عطر لك ابتسمت
فرفرفي يانسيم العطر وابتسمي

قلبي حوى من زهور الروض اعبقها
ونال قلبك منه أفضل النعم

لاتأسفي لظروف الدهر تبعدنا
عن السعادة والامال والحلم

فالقلب لاتطفيء الابعاد شعلته
ما اخمد البعد لحن العاشق النهم

الحسن ينطق ما في القلب من بدع
سحر العيون ينادي فتنة القلم

فمع طغيان التسجيلية العادية على مساحة قصائده، الا انها لاتستطيع أن تخفي غلالة الرقة والوضوح والتصوير الجميل ، وما ذلك الا لانه لم يالف التأليف في الشعر كما لم يمتهن الصنعة في صياغته بقدر ما كان يحاول ايجاد الصورة الهادئة ٠٠ لتعبر عن الموقف الذي يعترض حياته :

وتبرق عيناها فترعد اضلعي
وتقرب أحلام عسير بلوغها

وتعبس حيرى فالجوانح شعلة
فتطفي دموعي كالسيول لهيبها

ولولا غرام بت ارعى زهوره
واسقيه من روحي كريم شعورها

لفضلت قبرا للتراب يضمني
فليس جميلا أن اعيش بدونها

فمع تجزئة المعاني ٠٠ والمطابقة غير المعقولة بين (السيل واللهب) والهوة الفاصلة بين التجربة وفرق التراكيب نستطيع أن نقول بأنها لم تخل من الشعر والفن ولو انه اعاد النظر في نتاجه كان من الممكن أن يعطي آثارا قيمة ذات دلالة أوضح على شاعريته ، بيد أن الاهتمام يتضاءل أمام الهدف الذي سخر الشعر له ٠٠ وهو أن يكون بوحا سريعا لكل خالجة من خلجات قلبه وروحه ٠٠ من خلال المواقف الحياتية واليومية :

قد ادرك الفل شوقا في جوانحنا
فراح يرسل كالانسام نجوه

فقلت للوردة البيضاء والهفي
الى الشفاه الى ثغر ورياه

الى الحرير على رأس يتوجه
الى العيون اضاءت في محياه

بنت الجنان رويدا واسمعي وتري
يوشوش القلب نشوانا بلقياه

انت الجمال وانت الحب اعشقه
انت دنيا وانت الخمر والله

فهو يضعنا امام عاطفة تأخذ موقفا وسطا ، لايحاول أن يدفعها الى الانفعال والتواتر والحدة كما يمنعها من التردي والسقوط وما ذلك الابفعل اللامبالاة التي تسيطر على فنه ، فالقارىء لشعره ، يشعر انه يريد أن يقول شيئا ما ، الا أن سعة التدفق في النقل والتعبير لاتعطيه مجالا للتفكير في بلورة الاثر الفني المتكامل :

لاترسلي السهم في عينيك ملتهبا
يمزق الستر عن عيني والحجبا

لاتحرمي القلب من نور يعيش له
لاتتركي الحسن ياليلاي محتجبا

قد ذقت حبك نيرانا على كبدي
وذقت حبك طيفا حانيا حدبا

فكان اجمل مالاقيت من كرم
يزداد جودا اذا ما زدته طلبا

صوني على العمر قلبا انت جذوته
لولا هواك بهذا العمر مارغبا

اننا نشعر بوجود العالم الفني الرحب ·· الواضح الابعاد والحدود الا أن الملامح الجمالية التي تستأثر الشاعر ، وتهيمن على عطائه المتدفق تمنعه من التأني والوقوف عند الصياغة الفنية ·· فالعين النجلى ·· والهدب والحالم ··· والذؤابة الحريرية الناعمة المترفة ·· والشفاه الكرزية ·· تسد بوجهه مغالق العمل الفني ، وتفتح كل الابواب المطلة على العالم الجمالي الرحب :

عيونك الخضر قد الهبن عاطفتي
فهب قلبي مجنون الهوى طربا

من يزرع الجمر لا يجني سوى لهب
دعي شفاهك تجني من فمي اللهبا

ذؤابة التبر فوق الخد قد نسجت
جداول النور من شمس الضحى سكبا

الاهتمام بالصور الرقيقة المعبرة عن انوثة المرأة ·· تشل بنية العمل الفني لديه ·· ومع ذلك فان هذه البنية لم تكن على نسق واحد ·· بل حملت التواتر المنفعل الى جانب الهدوء وانفعال مع اللامبالاة الا انها لم تخل من مرتكزات دلت على شاعريته المتفاوتة بمقدرات معطياتها · بفعل توزعها بين عدة فنون فيها الوصف والتسجيلية والمساجلة وانحصارها في المجال الذاتي ومع هذا التوزع كانت ظلال الجمال واضحة في لوحاته :

لاتطلقي النار سحر الهدب أردانا
حكاية الحب ترعى في حنايانا

اتقتلين ·· ومن يتلو الحياة على
ضفاف سحرك انغاما والحانا !! ؟

تالق النور في احداق ظامئة
تناشد القلب أن يرتاد غدرانا

نادى هواك ولم أملك مقاومة
فرفرف القلب نحو القلب جزلانا

ومع ان الحديث بسيط ·· الا انه استطاع ان يحرك كوامن النفس من خلال مجموعة من الصور المتحركة الحافلة بالمعاني البسيطة ، فلا تشعر بالصنعة ·· ولا تحس بالتكلف ··· فهو لا يبحث عن معانيه بحث المنقب ، كما لا ينتقي الصورة انتقاء المجرب فلا ينحت من صخر ·· ولا يغرف من بحر ·· وانما طوى شاعريته في بردة الموقف ·· وهام في عالم الجمال المطلق فلم تفقد قيمها الانسانية :

ماذا يقول لنا التاريخ حين يرى
ما قد جنينا ولم نخجل ولم نهب

ألا يقول بأنا معشر غدر
نبني العواطف وفق الريح والسلب

ندير ظهرا لمن يقضي لصالحنا
ونتقي بخضوع سورة الغضب

العلم غيرنا والمال اتلفنا
والنفس تنزح من صدق الى كذب

وهذه المعاني نلاحظها ايضا في قصيدة اوحتها له حنظلة وبطيخة وجدهما في الصحراء وقد تشابهتا في الشكل والمنظر واللون واختلفتا في الجوهر والطعم فقال :

تشابه الشكل والالوان زاهية
حتى تساوت خطوط الطول والبقع

●● من كتاب الحركة الشعرية

تجمع الشهد في احشـــاء واحـــدة
واختها علقم كالحقد مجتمـــــع
والقلب مثل ربوع البيد مزرعـــه
ويحصد الناس ما في القلب قد زرعوا
اياك من خدع الابصار يا ولـــدي
فكم تزيـــا بثوب الفتنة البشـــع
واسأل فؤادك عن أبناء طينتـــه
بين الحناظل في يد الهوى رتعـــوا
فالقلب أصدق هاد في مجاهلنـــا
وكل من خالفوه الرأي قد خدعـــوا

ألا تحمل هذه المعاني البسيطة اتجاها انسانيـــا شموليا ؟ ونظرة واعية وواقعية الى الحياة المعقدة التـــي تشاكلت في مظاهرها واختلفت في جوهرها ٠٠

انها صورة بسيطة تؤكد شاعريته التي لو حـــاول الاهتمام والعناية بها لاستطاع ان يعطي اثارا متطـــورة ومتجاوزة للاشكال الكلاسيكية التي حصرت المعاناة في حدود ضيقة خنقت بعض الاثار ٠٠ بينما استطاع بعضهـــا ان يتجاوز هذه الحدود ويحلق بالشكل الكلاسيكي على مساحة فنية متطورة ومن ذلك قوله :

واقطف من عينيك وحبي كأننـــي
سكرت بخمر الله في جنة الخلـــد

ارى فيهما النعمى تهل وتنثنـــي
ارى فيهما الرحمن يهوى ولا يبدي

فيا لك من حب مقيم بأضلعـــي
فيمنحني النعمى وامنحه وجـــدي

وهبت الى نجل العيون قصائـــدي
وهبت الهوى روحي وهبت الصبا مجدي

ولا استطيع ان اترك عالم الشاعر قبل ان اقف امام تجربة وحيدة تجاوز فيها الشكل ونظمها معتمدا على شعر التفعيلة ٠٠ وهي قصيدة طويلة تحمل بعدا فنيا متجاوزا يقول منها :

وتبدأ قصـــة الحب
نداء الهدب للهدب
حنين القلب للقلب
وأشرع في بناء العرش للحب العظيم
وتقفز عيني الولهـى الى الطرف السقيم
وتقرأ بالعيون جميع انغام الحسان
فتسحرني الاغانـي
وتغمرني الامانـي
واحلم بالجمال يرف في ظل التداني

اننا نشعر بكامل ابعاد العالم الفني في هذه القصيدة التي فتحت الحداثة امامه افاق الكلمة كما يسر له الوزن النفس الطويل وهيأت له الموسيقا فرصة التجانس في بنيـة العمل داخليا وخارجيا :

غيابك اخرس الانوار صيرها ظلاما
وبعدك يا ضياء العين مزق قلبي الظامىء حطاما
ويذكو الجمر في قلبي ويلتهب
وتبتعد الاماني ثم تحتجب
لماذا غاب سحر الهدب عن شبق العيون ؟
ايشعل برق فينا الهوى لهبا
ويلقينا الى وادي الشجون
اتجذبني الاماني يا رباب
لتلفحني الصحارى والعيباب

عالم رحب يمتد الى مساحة هذه القصيدة المتكاملة ٠٠ ولذلك كم كنت اتمنى الا يخنق معاناته في حدود ضيقة بل يطلق لها العنان ، ويفتح امامها كل الابواب المطلةعلى الحياة وليقل الاخرون ما شاؤوا مجددا ٠٠ متمردا ٠٠ فالمهم ان تتكامل ابعاد التجربة لتعطي مجمل دلالاتها الفنية ٠

ومهما قلنا في تجارب الشاعر تبقى عطاء فنيا خاصـا حمله في تجاربه المختلفة ٠٠ بوحا خاصا لم يعرف احضان الصحف وعتبات المجلات الادبية ٠

●● محمد غازي التدمري

اكل البسكويت

قصة
محمد المجذوب

كان الوقت ضحى ، وقد أخذت الشمس تتسلق سفح الفضاء باتجاه القمة ، غير أن أشعتها ضئيلة باردة لا تكاد تصل الى سطح الارض الا في مشقة ، لآن الجو قد بدأ يصحو في أعقاب ليلة ماطرة قارسة .. وعلى الطريق الممتد من حلب باتجاه (الباب) سيارة نصف حافلة مثقلة بركابها العشرين ، وقد ضاعف عناءها وبطأ سيرها ما على سطحها من أعباء غير قليلة تراكم بعضها فوق بعض ، مشدودة الى أطراف الحامل بالعديد من الاربطة المحكمة .. وقد أقعى في مؤخرة هذه الاعباء قروي لم يجد مكانا في داخل السيارة ، فرضي أن يمتطي صهوتها في مؤخرة الصناديق الخشبية وأكياس الخيش ، المعبأة بمختلف الامتعة والبضائع ، فبدا في مكانه ذاك وكأنه حارس أقيم هناك لحمايتها ، أو ديدبان كلف مراقبة الابعاد من الجبال والاودية والحقول التي كانت تخيل لعينه وكأنها تتحرك هاربة في الاتجاه المعاكس ..

وتابعت السيارة الهرمة اندفاعها المتعب ، وهي ترسل أنينها المرتفع ممزوجا بالمفرقعات الصادرة عن مصرف الدخان ، كأنها طلقات بندقية شائخة .. وكان على القروي أن يستمتع بكل تلك الاصوات ، ويأخذ بنصيبه الالزامي من ذلك الدخان الذي لايكاد ينقطع ، فلا يملك ردا له الا بالسعال الابح ، يطلق معه مايعلق منه بحلقه وقصبته الهوائية ..

وانحنى القروي – قدور – قليلا يريد أن يغيّب أنفه خلال الاكياس ليحميه بعض ذلك الدخان المزعج.. ولذه ما وجده هناك من الدفء ، فدفع وجهه أكثر الى الامام ، واستراحت نفسه لتلك الرائحة الدسمة التي واجهته من أحد صناديق القوي ، فلم يحاول أن يعود الى وضعه الاول ، بل آثر أن يستمر على هذه الحال الى أن تقف السيارة في ساحة قريته ..

وفجأة لامس سمع السائق صوت صفعات صادرة من أعلى السطح ، ثم انتظم ذلك اسماع الركاب كلهم.. وكانت السيارة قد بدأت سيرها في منحدر يتعذر معه الوقوف العاجل، فلم يتمكن السائق من وقفها حتى انتهى الى وسطه ، وهناك شد على الكابح وجعل يصيح :

مالك ؟ .. ما تريد ؟!..

وسرعان ماجاءه الجواب من فوق ، قف أريد أن انزل لضرورة..

– من أجل ضرورتك نعطل السير اصبر قليلا ..

– لا أستطيع .. ابدا .. ابدا .. لا أستطيع ..

– ونحن لا نستطيع تعطيل السير من أجلك .. أفهمت ؟..

– اذن ألقي بنفسي .. قلت لك قف .. او ألقي بنفسي !..

وارتفعت أصوات الركاب تصرخ بالسائق قف .. قف ولم يسعه الا ان يقف نزولا على اجماعهم ، وخشية ان ينفذ قدور تهديده ..

وبرشاقة الهر هبط القروي السلم الخلفي ، ودفع بنفسه الى جانب الطريق . ولم يطل به المقام سوى بضع دقائق ، فعاد الى مكانه وهو يدعو للسائق ويقول « لو لم تقف لانتهت حياتي .. » .

واستأنفت السيارة مسيرتها في بطء .. ثم جعلت تشتد شيئا فشيئا ولكنها ماكادت تسترد نشاطها الاول حتى انطلقت تلك الصفعات كرة أخرى .. واتبعها صوت القروي صائحا : قف .. قف أكاد أموت..

وضاق صدر السائق والركاب جميعا بهذا الازعاج، فمايستطيعون أن يصدقوا كلام القروي ، وهو الذي لم يمض على استقراره ربع ساعة .. وهتف بعضهم « لا .. لاتقف .. هذا الرجل يريد أن يؤخرنا

لغير ضرورة.. » وصرخ آخر : نحن أصحاب مصالح والوقوف يضر بنا.

ولكن صوت القروي ظل يردد طلب الوقوف ، ويشتد في الضرب على سطح السيارة .. ثم شرع يقسم بأنه سيقذف بنفسه ان لم يقفوا له ..

وكان لزاما على السائق أن يتدارك الخطر الذي يسمع انذاره ، فوقف سيارته ، وهو يشتم الساعة التي جمعته بهذا الرجل ..

وهبط قدور مرة ثانية .. وعلى جانب الطريق فعل ما هو بحاجة الى فعله .. ثم عاد ليتسلق الى مكانه من السطح ، الا أن بعض الركاب قد رأى في وجوده ما يدفعه الى المزيد من هذه المتاعب ، بما يتلقاه من لسع البرد ، فآثروا أن يضيقوا على أنفسهم ليفسحوا له مكانا بينهم. ودخل الى حيث أشاروا اليه .. وجلس وهو يضغط على بطنه شاكيا متوجعا ..

واستأنفت السيارة طريقها .. ولكن الرجل لم يلبث ان استأنف صراخه من جديد ، يستحلف السائق والركب ان يحسنوا اليه بالوقوف .. وأخذ يصيح بلهجة أشبه بالبكاء « ياناس .. كرمى لله .. احسبوها صدقة .. والله ان أمعائي لتوشك ان تتقطع . دعوني انزل.. دعوني».

ووقفت السيارة للمرة الثالثة وخرج يعدو الى جانب الطريق .. وبعد دقائق يعود الى مكانه ، وهو يضغط على بطنه . ويتساءل كم بقي للوصول ؟ .. ويطمئنه من حوله بقرب المكان .. ولكن سرعان ما يعود الى صراخه ورجائه ودعائه .. فتقف السيارة ، فينزل ثم يعود ، ثم ينزل ثم يعود ... حتى شاء الله ان ينتهوا الى القرية ، وهي المحطة الاولى التي ستفرغ السيارة فيها بعض الاحمال مع اصحابها ! ..

— ٣ —

وامام احد الحوانيت القت السيارة بمراسيها ، وهبط صاحب الحانوت ليفتحه ، ويتسلم صناديقه وأكياسه . وجعل المساعد يناوله اياها واحدا بعد واحد ، حتى انتهى الى اسفلها ، فصاح به « هذا الصندوق ممزق .. احترز لئلا ينفرط » ..

وأخذ الحانوتي الصندوق بكثير من الاناة ، ووضعه على المنضدة الامامية في حذر ، ثم جعل يقلب النظر فيه ، يريد ان يعرف سبب خفته .. وسرعان ما علت صيحة وهو يقول « ويحه ! . لقد التهم مجمعي البسكويت كليهما !! .. ».

وتساءل المساعد في دهشة « احق ما تقول ؟ .. أكل مجمعي البسكويت ؟!!. ورد الحانوتي وهو مستغرق النظر في مابين يديه «تعال .. انظر . لم يبق منهما سوى الفتات ! .. » .

واندفع نحو القروي يشده بسراويله « ويلك .. لقد اكلت ما يساوي عشرين ليرة .. ولن ادعك حتى تدفعها » .

وأبى القروي ان يستجيب لطلبه ، وأبى الحانوتي الا ان يغرم ثمن ما اكل ..

وتقدم أحد الرفقة من معارفهما ليصلح بينهما وقال « انا اعرف ان ثمن المجمع لايتجاوز ثلاث ليرات فخذ منه ست ليرات ، وكفى الله المؤمنين القتال .. »

ولكن هذا التوسط لم يزد الحانوتي الا غضبا وراح يصرخ باعلى صوته : « ليس هذا من البسكويت الذي تعرفه .. انه من النوع الذي يسهل البطون .. انه بسكويت طبي!» ..

قال هذا وهو يجر غريمه الى قسم الشرطة ! ..

محمد المجذوب

مقدمة خير الدين

● يصدر خلال الايام المقبلة ، عن — دار الطليعة — في بيروت كتاب جديد انجزه الدكتور معن زيادة بعنوان — مقدمة كتاب خير الدين : اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك — .. وهو كتاب خير الدين التونسي الذي كان قد صدر للمرة الاولى في تونس في العام ١٨٦٧ .

د . زيادة الذي قام بتحقيق الكتاب ، مهد له بدراسة طويلة ، تحدث فيها عن اوضاع تونس في القرن التاسع عشر وتجربة الاصلاح التي قامت في عهدي الباي احمد والباي محمد الصادق ، الذي كان خير الدين رئيسا لوزرائه .

والكتاب يصدر ضمن سلسلة — من التراث العربي — .

الموسوعة الموجزة

عشقت « الموسوعة الموجزة » ـ بالاذن قبل العين ـ لوفرة ماقرأت عنها . وازداد حبي لها ، في أول تعارف جرى منذ عامين ، في دار مجلة الثقافة « الدمشقية » ، ما بين صاحبها الاستاذ حسان الكاتب وبيني، اذ تلمست فيه الانسان الذي يستميلك اليه ، بصدقه وتواضعه وعفة لسانه ، والذي يستهويك بحرصه على كرامته ، فما يكترث بالمال .. ولو شاء أن يكون بوقا أو امعة لجمع منه الكثير. وتلك صفات نادرة في زماننا هذا !!

ولم أمتع النظر بهذه الموسوعة ـ التي تشمل المعارف الانسانية مبوبة حسب الحروف الهجائية ـ الا منذ فترة قصيرة ، حيث أهداني مشكورا الجزء الثامن منها، وهو بحرف الدال وكذلك فاني لم أكد أتصفحها ، حتى تبين لي الجهد الكبير الذي بذله صاحبها ، الى أن طفحت بمعلومات هي « دائرة للمعارف » حقا ، فما ترك باباً الا وطرقه ، حتى أنه أتى بتعريف على ما في الدنيا من نبات وجماد وحيوان ، وسائر ما يتعلق بالانسان من غير اسهاب ـ طبعا ـ فما تتسع الموسوعة للاسهاب .. وقد زينت هذه المعلومات بطباعة أنيقة ، وتبويب مبسط ، يسهل التنقيب عن كل موضوع .

وبغير مغالاة ، فان هذه الموسوعة تعتبر بحق ، زادا لكل طالب معرفة وبالاعتماد عليها فانه لا يجهل شيئا من المعارف الانسانية ،كما أنها يمكن أن تكون أبجدية للباحثين .

وقد توخى الاستاذ حسان الكاتب النفع العام ، اذ بين طرق الوقاية والعلاج للامراض الشائعة ، مع كيفية ظهور أغراضها، بحيث ينتفع المريض بهذا المرض أو ذاك .

وقد أحسنت صنعا وزارة التربية في القطر العربي السوري، اذ أصدرت ـ بوساطة نقابة المعلمين ـ تعميما على جميع المدارس ، لحث المدرسين والمدرسات على اقتناء نسخ من هذه الموسوعة التي تصدر تباعا .

ويقيني أن هذا التعميم لا يفي بالمراد ، فلا بد من توزيع هذه النسخ على مكتبات جميع المدارس الثانوية والاعدادية والابتدائية . وكذلك يستحسن توزيعها على المدرسين والمدرسات الداخلين في الملاك ، مع اقتطاع جزء ضئيل من رواتبهم شهريا تسديدا للثمن .

وفي هذا الحال ، تكون وزارة التربية والتعليم قد ساهمت فعلا بتشجيع هذه الموسوعة ، سيما وأن صاحبها في عداد موظفيها . ومن غير اللائق أن تغمط حقه من الرعاية ، كيما تشبه به الآخرون من ذوي الموهبة ، ذلك أن العطاء من شيم العلماء ، ولا خير في عالم يبخل بعلمه فلا ينتفع منه الناس .

لي على هذا الخبر، ثلاث ملاحظات: أولاها أن بلدة دركوش لا تشتهر بمياهها المعدنية وانما بالمشمش والرمان. ولكن الى قربها من حمامات الشيخ عيسى المعدنية في قرية قنيه وثانيها أن مدينة دير الزور ـ وهي عروسة الصحراء السورية ـ تستحق أن يكتب عنها أكثر مماكتب أولم ينبغ منها كثيرون ، أعرف منهم على وجه العد لا الحصر ، الشيخ المرحوم سعيد العربي ، النائب الصادق ، والعالم التقي الورع والشاعر المشهور محمد الفراتي ، والسياسي جلال السيد ، والاداري سعيد السيد والمحامي البحاثة المرحوم عبد القادر عياش.. وثالثها أنه لم يأت على ذكر استقالة الجنرال ديغول ـ وهو أحد عظماء هذا العصر من رئاسة الجمهورية وأسباب الاستقالة ، كما أنه أغفل وصيته المشهورة التي سفه بها رجال السياسة بوجه عام ، فحرم عليهم أن يمشوا في جنازته .

وأخيرا ، فان هذه الموسوعة قد أضافت الى المكتبة العربية ، كتابا ثمينا لا يستغنى عنه ، اذ لا بد من الرجوع اليه دائما وأبدا ، لمن شاء الا يكون من الجاهلين !! ..

مصطفى الخش

تأليف حسان الكاتب ـ عدد الصفحات ١٥٢ من الحجم الوسط ،مطابع الف باء ـ الاديب ـ دمشق .

ابن الرومي

بقلم

مدحة عكاش

الوصف في شعر ابن الرومي

ان لكل شاعر هوى ينزع اليه ، ومذهبا تطمئن اليه نفسه فتتجلى فيه عبقريته ويشتهر به ، ولعل هـذا المذهب يولد مع الشاعر ويصبح شيئا من نفسه . لذلك قيل أن الشاعر يولد شاعرا . وقداختص كل شاعـر بفن أودع فيه بلاغته وشاعريته حتى صار يعرف به . فقد قيل عن أبي تمام أنـه مداحة نواحة ، والبحتري واصف جؤذر والمتنبي قائد عسكر ، وقد قيل ان اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب . فهذه الاقوال وأشباهها تظهر ما لكل شاعر من فن كرس له شاعريته وأظهر فيه ميوله التي تتجلى فيها احساساته ، ويكون في هذا النوع أبرع منـه في غيره لان ميله اليه أكثر وغايته فيه أشد .

وابن الرومي كغيره من الشعراء المجودين ينزع الى غرضين من أغراض الشعر تظهر فيهما ميوله الصادقة وهما الهجاء والوصف وليس هذا معناه انه قصـر في باقي أغراض الشعر أو أسف بها بل أن عبقريته وبراعته تجلت بهما أكثر مـن غيرهما . ولعل مصدر اجادة ابن الرومي في الهجاء هـو اجادته في الوصف وهجـاؤه المشتمل على الوصف والتصوير أجود في الغالب مـن هجائه الخالي منهما . ولم يقتصر على استعمال الوصف في هجائه بل قلما نرى قصيدة لابن الرومي لا ينزع فيهـا الى الوصف ، فمدائحه ومراثيه وغزله وتشبيبه هـذه الفنون كلها سيطرت عليها نزعته الى الوصف فظهـرت فيها جلية واضحة ، ولا غرابة بعد هذا أن نقول عنـه أنه وصاف ماهر وملون بارع تكاد تكون قصائده في الوصف صورا زيتية لما يصف ، قال من قصيدة يصف بها الشمس عند الاصيل :

وقد رنقت شمس الاصيل و نفضت
على الافق الغربي ورسا مزعزعا
وودعت الدنيـا لتقضي نحبهـا
وشول بـاقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النـوار وهي مريضة
وقد وضعت خدا على الارض اضرعا
كما لاحظت عـواده عين مدنف
توجع من أوصا به مـا توجعـا
وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا
يراعينها صـورا اليهـا روانيـا
ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبـين أغضـاء الفـراق عليهما
كأنهمـا خـلا صفـاء تودعـا
وقد ضربت في خضرة الروض صفرة
من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا
واذكى نسيم الروض ريعان ظله
وغنى مغني الطير فيهـا وسجعـا

ولن نجد في هذه القصيدة غير رنة طرب مـن نفس أفعمتها الطبيعة بمناظرها الساحرة فجاءت صورة ناطقة تتجلى فيها روعة الشمس وهي تميل الى الغروب تودع الدنيا وقد أسندت خدها الى الارض ، ترسـل البقية الباقية في شعاعها ناعسة تساورها الاسقام كعين المريض تنظر الى الزائرين نظـرة المـودع المحزون . ولننظر الى قوله :

وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا

فهل أجمل من هذا التشبيه الذي يجمع بين عين الشجي الدامعة وعيون النور المخضلة بالندى . وهل أجمل من هذا المنظر الرائع الذي تركته أشعة الشمس الصفراء فوق الاعشاب فبرزت بلونها الشعشاع تأخذ

الالباب وتسحر الافئدة •

أفليست هذه العين التي ينظر بها ابن الرومي عين مصور بارع وملون ماهر تركت الطبيعة في نفسه بهجتها ورونقها فكانت قصائده صورا زينية تنطق بالجمال وتنم عن ذوق يتجلى في انتقاء الالوان وتناسبها • ولم يكتف بوصف الطبيعة وما حوت بل تعداه الى ما هو أدق منه فقد وصف الاصوات الجميلة لافتتانه بها قال في وحيد المغنية :

يا خليلي تيمتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد

غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد
ظبية تسكن القلوب وترعا
ها وقمرية لها تغريد
مد في شأو صوتها نفس كاف
كأنفاس عاشقيها مديد
وارق الدلال والغنج منه
وبراه الشجا فكاد يبيد
تتغنى كأنها لا تغني
من سكون الاوصال وهي تجيد
لاتراها هناك تجحظ عين
لك منها ولا يدر وريد
من هدو وليس فيه انقطاع
وسجو وما به تبليد
ليت شعري اذا أدام اليها
كرة الطرف مبديء ومعيد
أهي شيء لا تسأم العين منه
أم لها كل ساعة تجديد

بل هي العيش لا يزال متى استمر
ض يملي غرائبا ويفيد

عيبها أنها اذا غنت الاحرار
ظلوا وهم لديها عبيد

فبالاضافة الى ما رأيناه من دقة النظر عند ابن الرومي في ادراك الاشياء وتميز ألوانها ، نجد له الآن سمعا مرهفا يتبين الصوت الناعم ويقدسه ، ويجعلنا نتصور هذه المغنية الحسناء تمايس بقوامها الاهيف تنظر الى السامعين بعيون ساحرة، وتتلفت بجيد كجيد الريم ، تتغنى بصوتها الساحر فتأخذ بمجامع القلوب ، هادئة الاوصال ، رزينة متزنة تضفي من دلالها على صوتها فتصبح فتنة الناظر وعزاء لكل محزون• وتريك في كل فترة من سحرها عجبا تهفو اليها الافئدة ولا تمل مرآها العيون ، وقد استرقت الاحرار فأصبحوا عبيد صوتها وجمالها •

هذا وأجمل ما نراه عند سماع هذه القصائد هذه الصور المتحركة التي انفرد بها ابن الرومي في شعره • فهو بالاضافة الى ما أجاد به من وصف المناظر الخلابة والالوان الساحرة والاصوات الجميلة ، نرى له صورا ناطقة متحركة يقدمها لنا فنكاد نرى حركاتها ونسمع أصواتها • قال يصف خبازا :

ان أنس لا أنس خبازا مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها كوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
في لجة الماء يلقي فيه بالحجر

ولا يصعب علينا بعد قراءة هذه الابيات أن نتخيل خبازا يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر ، يحيل العجين الى أقراص كوراء بسرعة تماثل سرعة دائرة رسمتها حصاة ألقيت على صفحة ماء راكد ، وهل يصعب علينا أن نتصور قالي الزلابية بعد أن قال فيه :

رأيته سحرا يقلي زلابية
في رقة القشر والتجويف كالقصب

يلقي العجين لجينا من أنامله
فيستحيل شبابيكا من الذهب

ولئن قيل عن الشعر أنه كلام يصور أو صور تتكلم فليس أدل على هذا القول من تلك القصائد التي أودع فيها ابن الرومي براعته في عرض الموصوفات حتى احسن وأجاد وبلغ فيها من الاتقان حظا عظيما قال يصف أحدب :

قصرت اخادعه وطال قذاله
فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة
وأحس ثانية لها فتجمعا

وما أظن الا أن باستطاعة كل انسان أن يصور الآن أحدب ولو لم يره في حياته : فمن السهل أن تتخيل هذا المخلوق الذي قصرت عروق رقبته وطال عظم كتفيه كمن صفعت قفاه وأحس بالصفعة الثانية فتجمع وانكمش على نفسه ليدرأ عن رقبته الشر والالم •

وأمثال هذه الصور في شعر ابن الرومي كثير ، ومن أجمل قصائده التي يسمعنا فيها هديل الحمائم وحفيف الاغصان وتمايسها قوله يصف روضة :

حيتك عنا شمال طاف طائفها
بجنة نفحت روحا وريحانا
هبت سحيرا ، فناجى الغصن صاحبه
سرا بها ، وتداعى الطير اعلانا
ورق تغني على خضر مهدلة
تسمو بها ، وتمس الارض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طرب
والغصن من هزه عطفيه نشوانا

ولم يقتصر وصفه على الاشياء المرئية فحسب بل تعداه الى وصف الاشياء غير المرئية كالحزن والفرح والغم والهم والالم ومواقف اللقاء والفراق ، وهو الذي نظر الى الحياة نظرة المتأمل الفاحص وعرف ما تنطوي عليه الحياة من مصائب وأحزان وما ينطوي عليه الاحياء من شرور وضغائن ، يعرف كيف يصور خلجات نفوس الشباب والشيب ، والحساد والمفترين والجبناء والضعفاء كل ذلك باسلوب يستهوي الافئدة ويصبي اليه النفوس • قال يصف حرقته على فقد أصدقائه :

لم يسترح من له عين مؤرقة
وكيف يعرف طعم الراحة الارق
محمد وعلي فتتا كبدي
اذا ذكرتهما والعيس تنطلق
خلان حل بقلبي من فراقهما
ما كنت أخشى عليه قبل نفترق
قلب رقيق تلظت في جوانبه
نار الصبابة حتى كاد يحترق
وددت لو تم لي حجى بقربهما
(ما كل ما تشتهيه النفس يتفق)

وقال في حب الوطن :

وحبب أوطان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

يتضح من كل ما تقدم أن أجلى مظهر تتمثل فيه عبقرية ابن الرومي وتفوقه هو الوصف، وخير قصائده وأجودها من مدح ورثاء وتشبيب وغزل وعتاب وهجاء هي التي استعمل فيها الوصف والتصوير ذلك الفن الذي فطر عليه وجبلت عليه شاعريته •

الرثاء في شعر ابن الرومي

الرثاء الصادق لا يخرج الا من نفس أفعمتها الآلام والاحزان ، وتوالت عليها مصائب الدهر واحداثه • وأكثر ما يبلغ الحزن مداه في النفوس الشاعرة المرهفة الاحساس فيذيبها لوعة وأسى •

فابن الرومي الذي دق احساسه ورقت عاطفته ، مر بسلسلة من المصائب المتتالية ، حرمته طعم الراحة وتركته يشتاق الهناءة في عمره ولو الى حين • فالايام التي جارت عليه وألبسته لباس الفقر والفاقة والعوز ،

وحرمته من متع الدنيا بعد ان تركته يتحرق بحرقـة اليأس والحرمان، فقد أبت أن تقف منه عند هذا الحد بل تعدته الى حرمانه أغلى ما يحصل عليه المرء في حياته حرمته من بنيه وآله وذويه ، فبكاهم بدماء قلبه قبل أن تبكيهم عيناه وكان رثاؤه لهم قطعا دامية من كبد دامية تركتها الايام مزقا مبعثرة في زوايا القبور • ولقد صبر حتـى نفذ صبره ووقف يصفهم وهم يلفظون أنفاسهم الاخيرة فكان شعره نفثات محزون وأنات مصدور وصـورا صادقة لنفس أحرقتها اللوعة وصهرتهـا الآلام • قـال يرثي ابنه الاوسط ويصفه وهو على فراش الموت :

توخى حمام الموت اوسط صبيتي
فللـــه كيف اختـار واسطـة العقد
طواه الردى عني فاضحى مزاره
بعيـدا على قـرب قريبـا على بعـد
لقد انجزت فيه المنايا وعيدها
واخلفت الامـال ما كان مـن وعـد
لقد قل بين المهد واللحد لبثه
فلم ينس عهد المهد اذ ضم في اللحد
الح عليه النزف حتى احاله
الى صفرة الجادى عن حمرة الورد
وظل على الايدي تساقط نفسه
ويذوى كما يذوي القضيب من الرند
فيالك من نفس تساقط أنفسا
تساقط در مـن نظـام بـلا عقـد
واولادنـا مثل الجـوارح ايهـا
فقدنـاه ، كـان الفاجـع البين الفقـد
لكل مكان لايسد اختلاله
مكان اخيه من جزوع ولا جلـد

ولنـستمع كيف يناجي فلذة كبـده بهـذه العبارات الابوية الناعمة تشفعها العبرات الحـرى المتدفقة قال:

أريحانة العينين والانف والحشا
ألا ليت شعري هـل تغيرت عن عهـدي
سأسقيك ماء العين ــ ما اسعدت به ــ
وان كانت الـسقيا مـن العين لاتجـدي
كأني ما استمتعت منك بضمة
ولا شمـة في ملعب لـك او مهـد
ألام لما أبدي عليك من الاسى
واني لاخفي منك اضعاف ما ابـدي

فاي اب يستطيع ان يصور حزنه واله لفقد ولده بابلغ مما صوره ابن الرومي ؟ بل اي عين اسخى مـن هذه العين التي بكت ريحانتها بعد ان طواه الردى وانجزت المنايا وعيدها فيه !

ولننظـر الى هذا الطفل وقد الح عليه النـزف واحال لون وجنتيـه الى الصفارة بعد ان كانتا بلون الورد كيف يذوي القضيب الاخضر الرطيب،وتتساقط نفسه تباعا تودع الدنيا وتلقي آخـر نظـرة على هذا الاب المـسكين الذي ثكل اولاده وكان يـراهم مثل الجوارح ان فقد احدها لايـسد الآخر مكانه ، هـذا الاب الذي آلى على نفسه ان يسقي تراب ابنه بدموع عينيه ــ مادامت في عينيـه الـدموع ــ ويقول بان ما لوعة وحزن ان هو الا اليسير مما يكنه بيـن اظهره من جوانحه من اسى يذيب حشاه كلما تذكر مداعبته لهذا الصغير الغالي في مهده أو في لعبه •

ونحن اذا أثرت فينا عباراتـه حتى اضطرنا الى مشاركته في آلامه ، فما ذلك الا لانه عرف كيف يصور هذه الآلام التي تصدر عن قلب مفجوع اثخنته الليالي بجراحاتها • واجادته في رثـاء ابنه الاوسط لاتقل عن اجادتـه في رثاء ولديه الاول والثالث فقـد فجع بهم جميعا • قال في رثاء الاول :

حماه الكرى ، هم سرى فتأوبا
فبات يراعي النجم حتى تصـوبـا
اعينيّ جودا لي فقد جدت للثرى
باكثـر ممـا تمنعـان واطيبـا
بني الذي اهديته امس للثرى
فللـه مـا اقـوى قناتي واصلبـا

وقال في رثاء ولده الثالث :

ابني انك والعزاء معا
بالامس لف عليكما كفن
تالله لاتنفك لي شجنا
يفنى الزمان وانت لي شجن
اولادنا انتم لنا فتن
وتفارقون ، فانتم محن

وتمتاز مراثيه بالرغم من قلتها وقصرها – على غير عادته – بمتانة الاسلوب وصدق العاطفة وتصوير لواعج النفس وما يضطرب بها من حزن واسى . وأوضح ما تظهر هذه المميزات في رثائه لاولاده واقاربه قال يرثي اخاه :

وتسليني الايام ، لا ان لوعتي
ولا حزني كالشيء ينسى فيقرب
ولكن كفاني مسليا ومعزيا
بأن المدى بيني وبينك يقرب

ولم يقتصر في مراثيه على الابناء والاهل والاصحاب ، بل تعدى ذلك الى رثاء البلدان فقد رثى مدينة البصرة يوم اقتحمها الزنج سنة ٢٥٧ هجرية بقيادة علي ابن ابان : ووصف ما اتوا به من صنوف القسوة والوحشية وتقتيل الآمنين وحرق بيوتهم وذبح الاطفال وانتهاك الحرمات ، قال :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام
شغلها عنه بالدموع السجام
أي نوم من بعد ما حل بالبص
رة ، ما حل من هنات عظام
أي نوم من بعد ما انتهك الز
نج جهارا محارم الاسلام
ان هذا من الامور لأمر
كاد ان لايكون في الاوهام

فهو يذكر في مطلع هذه القصيدة كيف ساور الارق عينيه اللتين شغلتهما الدموع فحرمتهما لذة النوم والرقاد . وكيف يأتيه النوم بعد ان رأى تلك المصائب التي رانت على البصرة بما أقدم عليه هؤلاء الزنوج من انتهاك الحرمات جهارا لاتأخذهم بالمحصنات نخوة ولا يردعهم ضمير ! ولنستمع الى الزفرات الحرّى التي يرسلها متلهفا متألما على مدينة الاسلام والمسلمين قال:

اقدم الخائن اللعين عليها
وعلى الله ايما اقدام
وتسمى بغير حق اماما
لا رعى الله هديه من امام
لهف نفسي عليك ايتها البص
رة ، لهفا كمثل لهب الضرام
لهف نفسي عليك يا قبة الاس
لام لهفا يطول منه غرامي

وينتقل الى تصوير الفاجعة ، ويعرض علينا بعض مشاهد هذه المأساة المروعة :

بينما أهلها باحسن حال
اذ رماهم عبيدهم باصطلام
دخلوها كأنهم قطع اللي
ل اذ راح مدلهم الظلام
كم اغصوا من شارب بشراب
كم اغصوا من طاعم بطعام
كم اخ قد رأى اخاه صريعا
ترب الخد بين صرعى كرام
كم اب قد رأى عزيز بنيه
وهو يعلى بصارم صمصام
كم رضيع هناك قد فطموه
بشبا السيف قبل وقت الفطام
كم فتاة مصونة قد سبوها
بارزا وجهها بغير لثام
صبحوهم فكابد القوم منهم
طول يوم كأنه الف عام

فأي مشهد آلم للنفس من مشهد هؤلاء الوحوش اصحاب الوجوه السود ، يقتحمون هذا البلد الآمن على حين غرة فيذهلون أهله عن الشراب والطعام،

، ويردون الشباب صرعى يتخبطون بدمائهم بعـد ان تعفرت وجوههم بالتراب ، ويعملون سهامهم بالاطفال والرضع امام اعين آبائهم وامهاتهم ، ويسبـون ربات الحجال والمخدرات من النساء عاريات بارزات الوجوه.

ثم لننظر كيف يعود الى نفسه ـ بعدعرض هذه المشاهد ـ فيصور لواعجها والامها . قال :

ما تذكرت ما اتى الزنج الا
اضرم القـلب ايسا اضرام
ما تذكرت ما اتي الزنج الا
اوجعتني مـرارة الارغـام
رب بيت هناك قد خربوه
كان مأوى الضعـاف والايتـام
رب قصر هناك قد دخلوه
كان من قبل ذاك صعب المـرام
رب ذي نعمة هناك ومال
تركـوه محالف الاعـدام
رب قوم باتوا باجمع شمل
تركـوا شملهـم بغير نظـام

افلا نلمح من خلال هـذه الابيـات نفسا دق احساسها ورقت عواطفها فسالت حزنا وألما أمام هـذه المشاهد الدامية التي حزت في نفس ابن الرومي فجاء بها صورا تستثير آلام النفوس واحزانها ! ومراثيـه كلها تمتاز ببعدها عن التكلف والصنعة ويتجلى فيهـا طبعه الـسليم وعاطفته الصادقة التي لاتعـرف التملق والتزلف .

الهجاء في شعر ابن الرومي

رأينا كيف ان ابن الرومي كان ينظرالى الـدنيا بمنظار اسود بعد ان كـره الحياة وبرم بالاحياء وساء ظنه بهم فعاش بهم قليل المـداراة للناس فاقد المجاملةفي معاشرتهم ، لا يثبت على مودة ولا يـدوم على وفاء ، وكثيرا ما كان يسأم من اصدقائه ومحبيه ـ على قلتهم ـ يضاف الى ذلك فقره المدقع الذي لزمه طوال حياته ، وهذا التشاؤم الذي بلغ به درجة الجنون او كـاد . هذه العوامل كلهـا افعمت قلبه بالحقد واثارت ثائرة النقمة بين جوانحه فانفجرت على لسانه هجاء مقـذعا طالما نهش به اعراض الناس ومس به كرامتهم .

لذا كثيرا ما كان الناس يتحاشونه خوف لسانـه ولسعاته وهجاؤه ـ علـى كثرته يتصف بالقسـوة والفحش ويندر ان نجد له هجاء خفيفا ، يترك بعـده مجالا للصلح الا ان هـذا الهجاء يتصف مـن حيث موضوعه الى نوعين عام هاجم به الناس كلهم لا يستثني منهم احد ، (وخاصة الاغنياء والمثرين) وهذا النوع في شعره قليل اما النـوع الثاني فهو الخاص الذي هاجم به الافراد ، وما اكثر ما هاجم الافراد في حياته . وندر من اصدقائه ومعارفه من تخلص من لـسعات لسانه ، حتى انه لم يعف نفسه من هجائها ، قال يصف صورته:

من كان يبكي الشباب من جزع
فلـست ابـكي عليـه مـن جـزع
فان وجهي ـ بقبح صورته ـ
مـازال بي كالمـشيب والصلع
أشبَّ ما كنت قط اهرما
كنت : فسبحان خالق البـدع
اذا اخذت المرآة سلفني
وجهي ـ ومامت ـ هول مطلعي
شغفت بالخرد الحسان وما
يصلـح وجهي الا لـذي ورع
كي يعبد الله في الفلاة ، ولا
يشهد فيه مـساجد الجمـع

الا ان هذا الهجاء اذا خلا من الاقزاع فما ذلك الا لانه قاله في نفسه . وما عساه ان يقول غير انه دميـم المنظر يدعو وجهه الناس الى الـزهد والتقشف لسوء منظره ، وقبح طلعته . ولكـن اذا قرأنا هجاءه في غيره وجدنا ان كل قصيدة تـكاد تـكون معجمـا لالفاظ الشتائم والسباب قال يهجو أحد أصحاب اللحى الطويلة:

ان تطل لحية عليك وتعرض
فالمخالي معروفة للحسير
علق الله في عذاريك مخلا
ة ولكنها بغير شعير
لو غدا امرها اليّ لطارت
في مهب الرياح كل مطير

افلا ترى ان في تشبية اللحية بالمخلاة شيئا من الجدة والطرافة ؟ واجمل من ذلك هذا التمني منه ان يعود اليه امر هذه اللحية ليتركها ندفا تتخاطفها الرياح .

وتشبيه الناس بالحمير عنده كثيرا . قال يهجو أبا سليمان المغني :

ابو سليمان لاترضي طريقته
لافي غناء ولا تعليم صبيان
عواء كلب على اوتار مندفة
في قبح قرد ، وفي استكبار هامان
وتحسب العين فكيه .. اذا اختلفا
عند التنغم فكي بغل طحان

ولنر بعد هذا كيف يعمد الى انتهاك اعراض الناس بعد ان يصفهم بالبلادة والبهم ويصمهم بكل ما يوصم به الانسان . قال يهجو الجعفري :

خذ ابا جعفر مغبة جرمك
واجن ما اثمرت سفاهة علمك
ما تعرضت لي ، وجدك حتى
قرن الله كل نحس بنجمك
لست عندي — ان عبت شعري ملوما
لك عذر لدي في ضيق علمك
لقريضي (يا ابن الزواني) معان
قصرت — دونها — مذاهب فهمك

افتخرج كلمة (ابن الزواني) الا من رجل لا يريد بعد هذا الهجاء صلحا ، او رجل اولع بانتهاك الاعراض والحرمات ؟ وله شعر اقذع من هذا الامر وقصيدته في ابن بوران دليل قاطع على سلاطة لسانه اذ استعمل فيها من الالفاظ البذيئة ما يتورع الانسان عن ذكره . قال منها — وهذا اخف ما قال — :

أفحش القذف والهجاء لبورا
ن طهور كالرجم للمرجوم
كيف لاتسقط السماء على الار
ض ، وترمي من اجلها بالرجوم
كثرت موبقات بوران ، حتى
ضاق عنها عفو الغفور الرحيم
يا ابن بوران مانجوت من الوأ
د لخير ، لكن لشر عظيم
لو رآك الرجال شيئا نفيسا
كثرت فيك هنبثات الخصوم
كيف ندعوهم لآبائهم ربي !
وفيهم أمثال هذا الزنيم
كل فحل أبوك ، عدلا من الله
وعيسى بلا أب كاليتيم
شمل الناس عدل أمك حتى
سار فيهم ، كسير جور سدوم

وله غير هذه كثير من الهجاء المقذع الذي استهلك أكبر قسم من ديوانه . الا أن هذا الهجاء على اقذاعه وشدة وطأته على الناس يمتاز بسهولة تعابيره وبعده عن غريب الكلام شأن ابن الرومي في أكثر قصائده . وطبع ابن الرومي أكثر مايتجلى بهذا النوع من الشعر الذي فطر عليه حتى أصبح شيئا من نفسه .

هذا ولئن اقتصرنا في بحث فنون الشعر على الوصف والرثاء والهجاء ، فليس هذا معناه أنه قصر في باقي الفنون ، الا أنه كان في هذه أظهر حتى لم يلحق بغباره في هذا المضمار شاعر . ويعود سبب ذلك لاسباب نفسية جمعتها شخصيته الفذة جعلته مميزا عن جميع شعراء عصره .



● **الكاتب الفرنسي الشهير جول فيرن أقامت مدينة نانت الفرنسية — بمناسبة مرور ١٥٠ عاما على وفاته — متحفا يضم الاعمال الادبية التي كتبها جول فيرن والادوات التي كان يستخدمها . كما ضم المتحف الاعمال النقدية التي كتبت عنه ، وصالة عرض اعمال الكاتب الادبية وافلام عن حياة الفنان جول فيرن — هو مخترع الروايات العالمية وقد عاش في الفترة بين عامي ١٨٢٨ — ١٩٠٥ ومن أشهر اعماله — من الارض الى القمر — وعشرين الف فرسخ تحت الماء — ..**

● حصل الاديب الروائي الكسندر تشاكوفسكي على جائزة لينين لهذا العام لروايته — الحصار — وتعتبر هذه الجائزة في الاتحاد السوفياتي اعلى جائزة للاداب . الرواية ترصد ما حدث في الحرب العالمية الثانية وحصار المدينة لينينغراد ، والكاتب الكسندر اليوم يرأس تحرير مجلة لاتيرانورنايا نمازيتا .

● **— رباعية الموت والجنون — مجموعة قصص لمحمود موعد صدرت في دمشق حديثا عن مطابع دار الانوار وبمعاونة اتحاد الكتاب العرب ، قدم للمجموعة الدكتور حسام الخطيب ، والاهداء الى : الانسان العربي الفلسطيني حتى يخرج من الكابوس — المجموعة عمل واعد ، صمم الغلاف — حسين حمزة الفنان وكاتب الاغاني الشعبية المعروف .**

● بمناسبة مرور — ٣٠٠ — عام على عمر الاوبرا في هامبورغ يحتفل هذا العام في هامبورغ بهذه المناسبة فلقد تم افتتاحها لاول مرة يوم الثاني من كانون الثاني علم ١٦٧٨ م حيث عرضت المسرحية — حواء وآدم — او — الانسان الذي خلق فهوى ثم استقام — ليوهان نايله ..

● **ميخائيل نعيمة: الاديب الشاعر الكاتب والفيلسوف المشهور سيكرم عالميا في أول أيار القادم من السنة القادمة — لبلوغه عام التسعين ..**

ونعيمة ، صاحب الحضور الابداعي والثقافي في نهضة القرن العشرين .. اديب مهجري ومقيم . شاعر وقاص ومسرحي وكاتب مقالة من الطراز الاول، مفكر وفيلسوف — كان صديق المرحوم جبران خليل جبران .

— التكريم مبادرة رائعة من المسؤولين والحكوميين والهيئات الثقافية والاجتماعية في لبنان الشقيق .

— وميخائيل نعيمة من مواليد أواخر القرن التاسع عشر حيث ولد في ١٧—١٠—١٨٨٩ في لبنان ..

● — فنون الخط والقرآن — للمؤلف البريطاني غاي ايتون، صدر في لندن ، والكتاب تحفة فنية أشرف على تمويلها واصدارها مجلس المؤتمر العالمي الاسلامي في لندن — تباع النسخة الواحدة بعشرين جنيها استرلينيا والكتاب يقع في ٢٤٢ صفحة وفيه ١١٤ لوحة فنية .

● **فازت رواية — الحب الاخر — للكاتب الفرنسي ميشيل بوتيل — منشورات مركورده فرانس — بجائزة مديسيس الشهيرة ، والرواية من اجمل الروايات التي كتبت في السنوات الاخيرة ..**

● رواية — الكاتب الفرنسي ديديه دوكوان — منشورات سوي — بجائزة غونكو الشهيرة — اسم الرواية — جون الجحيم — يديه — ٢٣ — سنة يضعنا في روايته امام مشاهد مدهشة لمدينة نيويورك التي بلغت ذروة الحضارة الحديثة ، ولكنها عاصمة التعدي والمفارقات والصخب في العالم .

● **— اطفال في المدينة — عدد خاص من مجلة اوترومان — رئيس التحرير هنري دوجيبه — فرنسا — يطرح العدد مشكلة حرية التعبير لدى الاطفال .**

ولقد جاء العدد الخاص هذا بعد سلسلة من المنشورات تتضمن ادب الاطفال ومشكلاتهم النفسية والتفكيرية والاجتماعية ..

● في باريس أقيم مهرجان الشعر الفرنسي ، والشعراء في فرنسا وفي الدول الناطقة باللغة الفرنسية قدموا نماذج من شعرهم .. عمدة باريس — جاك شيراك — قدم جائزة لاحسن شاعرة واخرى لافضل الشعراء من البلدان الاخرى ..

● **في سان باولو تألفت — عصبة الادب العربي — الرئيس : نواف حردان ، النائب : شكيب تقي الدين امين السر بالبرتغالية باسل فرحات، امين السر بالعربية : كمال قبيس ، خازن أول : نبيه سلامة ، خازن ثاني : شفيق عبد الخالق ، للاعلام والنشر : يوسف مسمار .**

● — بواكير التأليف المسرحي في موريار — كتاب للاستاذ عادل ابو شنب صدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق .

● اتحاد المؤرخين العرب يقيم مهرجانا للتراث العربي الاندلسي اواخر عام ١٩٧٩ وذلك في عواصم الدولة الاسلامية في اسبانيا — قرطبة وغرناطة واشبيلية ..

● الجزء الثاني من الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر الفرنسي — جون بيرس — صدر حديثا — ترجمة ا ونيس —علي احمد سعيد— عنوان الجزء المذكور من هذه الاعمال — منفى وقصائد اخرى — الجزء الاول كان بعنوان — منارات — . .

● **— فارس على حصان من خشب — مجموعة قصصية للكاتب الشاب عبده جبر — صدرت حديثا في القاهرة .**

● الشعراء الشاميون ، تأليف المرحوم خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق سابقا ، سوف يصدر قريبا عن دار صادر في بيروت بعناية ابنة الشاعر عدنان مردم بك .

فلنبدع أدباً وفناً لائقين بعصر

تشوليما

اليوم ، أود أن أدلي ببضع ملاحظات قليلة لكم حول مشكلة تطوير أدبنا وفننا ٠

ان أدبنا وفننا لهما تقاليد تاريخية طويلة ٠ فقد كان لدينا منذ أقدم العصور أغان ورقصات جميلة ٠ وبعد التحرير حقق أدبنا وفننا تقدما سريعا ٠ وهما الآن يزدهران بشكل رائع ٠ فاليوم ، يستحق فننا بجدارة واعجاب « الفن الذهبي » ٠

ولقد بذل كتابنا وفنانونا في السنوات الماضية قدرا كبيرا من العمل ٠ وأنا أقدر كثيرا الجهود التي بذلتموها في كفاحكم المتفاني لتطوير فننا القومي الذي ظل تحت أقدام الغزاة لفترة طويلة الى ما هو عليه اليوم ٠

غير أننا لانستطيع أن نكتفي بالنجاحات التي أحرزناها بالفعل ٠ فحياتنا تتقدم بسرعة ٠ والشعب يطالب بفن أكثر جمالا وديناميكية ٠

فأدبنا وفننا متخلفان اليوم وراء الحياة النامية لشعبنا ، وعاجزان عن مجاراة مطالبه ٠

والناس على صواب عندما يسمون عصرنا عصر التشوليما ٠ وهم يعتبرون أنفسهم سعداء سعادة لا حد لها اذ يعيشون ويعملون في هذا العصر العظيم ٠

ونحن نكافح في كافة مجالات البناء الاشتراكي بروح السير مائة خطوة بينما الغير يسيرون عشر خطوات ، والجري مائة ري بينما يجري غيرنا عشرة ٠ حقا ، ان روح التشموليا قد أصبحت عقيدة الحياة لشعبنا ٠

وبحفاظنا على تقدم التشوليما المجيدة لعدة سنوات ، فاننا قد بنينا قاعدة التصنيع الاشتراكي ٠ وأرسينا اسسا وطيدة لبناء بلد اشتراكي غني وقوي ٠ ومع اننا لانستطيع حتى الآن القول اننا نعيش في بحبوحة ، فان شعبنا قد تحرر من القلق وحمل هموم الغذاء والكساء والاسكان ، وكل شخص يتمتع بحياة سعيدة رغدة ٠ ومع الوقت الذي نكون فيه قد استجمعنا قوانا مرة اخرى وانجزنا خطة السنوات السبع ، ستكون بلادنا قد أصبحت دولة اشتراكية صناعية متقدمة ، وسترتفع مستويات معيشة شعبنا بشكل مؤثر ان منجزاتنا عظيمة ٠ ولدينا مستقبل مشرق امامنا ٠

وبالطبع ، فان أدبنا وفننا يجب أن يمثلا بقوة هذه الحياة العظيمة الخلاقة لشعبنا المنطلق للامام بروح التشوليما ان ادبنا وفننا يجب أن يصورا الحياة الحافلة والكفاح البطولي لشعب عصر التشوليما ، وأن يعبرا بحيوية عن آماله ورغباته ٠

غير ان الادب والفن ، لاسفنا ، عاجزان عن أن يعكسا بصدق روح عصرنا ، وتقديم صورة حية لعواطف وتطلعات بناة الاشتراكية ٠

فأول كل شيء ، لا يوجد سوى عدد صغير جدا من الاعمال القائمة على أساس الحياة اليومية النابضة لشعبنا ٠ فالاوبرا التقليدية ـ قصة تشون هيانغ ـ مرضية جدا ، وكذلك مسرحية الاميرال لي سون سين ٠ فنحن ينبغي بالتأكيد أن تكون لدينا معرفة جيدة بماضينا ٠ ولكن ما نريد بالحاح أشد هو الحاضر أكثر من الماضي ٠ وحتى ونحن نعالج الماضي ، فانيا يجب ان نبدأ بالموضوعات المرتبطة مباشرة بالكفاح الثوري لشعبنا ٠

ومن أجل التربية بالتقاليد الثورية والتربية الطبقية يجب أن نواصل ابداع كثير من الأعمال التي تمثل المعركة المتصلة لثوارنا أثناء الكفاح المسلح ضد اليابان ، والكفاح البطولي لشعبنا في وقت الثورة الديمقراطية وحرب تحرير الوطن ، والترميم والبناء بعد الحرب ٠ وقد كان عدد غير قليل من الأعمال التي تعالج هذه الموضوعات ناجحة ، وساهمت اسهاماً عظيماً في تربية الشعب العامل بالروح الثورية الشيوعية ٠

وما ينقصنا الآن أكثر من أي شيء آخر هو الأعمال التي تصور الواقع اليومي ٠ فليس لدينا سوى عدد قليل جداً من الأعمال الفنية التي تصور الأبطال الجدد الذين انجبهم عصر التشوليما ٠ ان كتابنا وفنانينا يمجدون أبطال الماضي ، ولكنهم عاجزون عن رؤية أبطال عصرنا الذين يخلقون حياة جديدة حافلة ٠ وهذه واحدة من أفدح نواحي الضعف لدى كتابنا المعاصرين ٠

ولا شك انها حقيقة أن تصوير حياة وأبطال الحاضر أصعب بكثير من تصوير حياة وأبطال الماضي ٠ فالحياة

اليوم لهامضمون أكثر تعقيدا وتنوعا منهافي الماضي • ويلزم كثير من الدراسة والجهد لتقديم صورة وافية للمضامين المعقدة والفنية لحياة ابطالنا المعاصرين • ولكننا اذا استطعنا النجاح في انتاج عمل ممتاز من الفن حول واقعنا اليومي ، فسيكون في وسعه أن يلعب دوراً في تربية الشعب العامل أكبر بكثير من العمل الذي يصور الماضي •

ان جميع الاعمال الادبية والفنية يجب بعد كل شيء أن تخدم تعليم شعبنا اليوم كيف يعيش ، وكيف يعمل ، وكيف يكافح • وهذا هو السبب في أن كتابنا وفنانينا يجب أن يولوا اهتماماً بالواقع المعاصر أكثر من الماضي • كلما تصور حياة الواقع اليومي كلما تكون الاعمال اعمالا ذات قيمة أكثر •

ولقد ذكر لنا كاتب أجنبي معين أن مسرحية الاميرال لي سون سين تمثل في كوريا مرات كثيرة • ولكن حرب تحرير الوطن التي خاضها الشعب الكوري لا بد قد تمخضت عن لي سون سين كثيرين • وأنا أعتقد أنه كان على صواب في قوله ذاك • ففي أيامنا هذه ، يوجد العديد من الوطنيين الاكثر حكمة وشجاعة من لي سون سين

ونحن نستطيع أن نجد رجالا جداً في كل مكان • وعلى أدبنا وفننا أن يصوراهم • ان كثيرين من فرسان التشوليما يعملون في مصانع ومؤسسات مثل مصانع بناء الآلات، ومصانع التعدين ، ومصانع النسيج ، الخ ، وفي الريف ، وفي قرى صيد السمك • وفي الوقت الحاضر يبلغ عدد فرق عمل التشوليما وحدها أكثر من ٨٥٠ فريقاً • والتعاونيات الزراعية النموذجية أكثر من ١٠٠٠ تعاونية • وفرسان التشوليما كلهم أبطال رائعون لعصرنا • والمشكلة أن كتابنا وفنانينا عاجزون عن التعرف على ابطال اليوم الحقيقيين •

والفن السينمائي متخلف بشكل خاص في ميدان الادب والفن • فالسينما تشغل مركزاً هاماً جدا كوسيلة لتربية الجماهير • غير أن السينما لدينا في مستوى منخفض • فلا يوجد ثمة فيلم يصور طبقتنا العاملة البطلة • كما لايوجد فيلم يصور فلاحينا يستحق المشاهدة •

لقد انجزنا المهمة الثورية لتعميم التعاونيات في الزراعة الفردية والقضاء على جذور الاستغلال والفقر الى الابد في الريف في مدة قصيرة لا تزيد على أربع أو خمس سنوات • ولكن لايوجد فيلم واحد يسجل هذا التغير العظيم • حقيقة ، لقد ظهر فيلم يصور جهود عمال مصنع ريونغ سونغ للآلات في انتاج الآلات والمعدات اللازمة لمصانع هوانغ هاي للحديد • ولكنه ليس كافيا • وأنا لن أذكر عيوب هذا الفيلم • فان اعمالا كثيرة قائمة على أساس واقعنا يجب أن تنتج ، ولا ينبغي أن نهتم ببعض نواقص قليلة فيها •

ولقد فكرت كثيرا في الفترة الاخيرة حول كيف نساعد فننا السينمائي على تصوير الحياة والكفاح الحافلين لانسان عصرنا الجديد ، وللابطال الذين جاءوا من الشعب العامل، ولفرسان التشوليما • فلو انتجنا ولو فيلما واحدا من هذا النوع فانه سوف يشجع كثيرا شعبنا العامل ، وسيصبح سلاحاً قوياً لتربية الالوف بل وعشرات الآلاف من الناس كي يصبحون رجالا جداً •

وعند انتاج الافلام التي تستجيب لمطالب عصرنا يكون من أهم الاشياء أن تعكس بصدق الصراع بين الجديد والقديم وأن تظهر بحيوية تفوق النظام الاشتراكي الذي يفتح للشعب آفاقا واسعة لا نهاية لها • ويجب ان تؤكد هذه الافلام فكرة انها ليست الالات ، وانما هو الانسان الذي يلعب الدور الحاسم في الانتاج • ويجب ان تعطي الافلام مقاما بارزا للنظرة الماركسية اللينينة • أن الحياة الحافلة لاتخلق بقوة شخص واحد أو شخصين متفوقين ، انما بكفاح ملايين العاملين الواعين برسالتهم التاريخية • وبطل مثل هذا الفيلم يجب أن يصور كانسان جديد ونموذجي ، مرح ومتفائل ، انسان لايستسلم للمصاعب ، ويملك ارادة قوية للتحرك للامام • يجب أن يصور بمهارة مساراً للحياة نجد فيه انساناً كان من قبل واقعاً تحت الذل والقهر يعمل بتفان في وجه المحن وينجح في النهاية بفضل جهوده المضنية وتقدمه المعنوي •

ان في بلادنا الآن عناصر لاحصر لهم مؤهلين كأبطال من هذا الطراز • ان فرسان التشوليما لدينا الذين يحصون بالألوف وعشرات الألوف كلهم أبطال لعصرنا يحطمون كل ما هو متخلف ، ويخلقون مجتمعا جديدا طيبا بكفاحهم البطولي وعملهم الخلاق • وانه لمما يدعو للاسف الشديد انه لا يوجد فيلم واحد يصور فرسان التشوليما •

ولا شك أن هناك أيضا نواقص في أداء ممثلينا وممثلاتنا في أفلامنا ، ولكن هذا لايبدو أنه شديد الأهمية • وهناك قوم يقولون أنه لايمكن انتاج أفلام جديدة لأن الاستديوهات تؤدي عملها بشكل هزيل ، ولكن ليس هذا هو الحال فان عمل الاستديوهات أساسا هو الجانب التكنيكي للانتاج، وليس المضمون الايديولوجي للافلام • والنقطة الرئيسية هي المضمون الايديولوجي للافلام الذي يبدو هزيلا جدا •

وعلى سبيل المثال ، لقد شاهدت فيلماً يتناول مشكلة الحب • ولم يكن للفيلم أي مضمون ايديولوجي بالمرة • وكان غير مشوق على الاطلاق • ونحن لن يجدينا شيء أن نصور الحب من أجل الحب • فالحب من أجل الحب مظهر من مظاهر المذهب الطبيعي • وليس فيه أية قيمة تربوية لنا • والاكثر من ذلك أنه قد يكون ضاراً •

ان الحب بين رجال ونساء من طراز جديد يجب أن يخدم الاهداف النبيلة لقضية الثورة ، وان يكون مرتبطا

ارتباطاً وثيقاً بالكفاح من أجل الانتصار في الثورة ٠ ومن ثم فان افلامنا يجب أن تنتقد بشدة حب أولئك الذين ينسون الهدف الثوري وينغمسون فقط في المتعة الشخصية ، يجب أن نجعل مثلا أعلى ، ذلك الحب النبيل والجميل لدى طراز جديد من الشباب الذين يخوضون كفاحاً بطوليا في سبيل الاهداف العظيمة للبناء الاشتراكي ، يساعد كل منهم الآخر ويقوده للأمام ٠

ومسألة المضمون الايديولوجي يجب أن تسوى أولا كل شيء بواسطة كتاب السيناريو ٠ فليس هناك أفلام جيدة تنتج الآن بواسطة كتاب السيناريو عاجزون عن كتابة أعمال جيدة ٠ ولو كان كتاب السيناريو يعدون نصوصاً جيدة لما كان هناك سبب يدعو لعدم انتاج أفلام جيدة ، حتى لو كانت الاستديوهات تشكو من بعض القصور والنواقص ٠ انما المشكلة الآن في السيناريوهات ٠

ووضع الموسيقى التصويرية مسؤول أيضا الى حد كبير عن انخفاض مستوى افلامنا ، فمشاهد الشجاعة يجب أن تكون مصحوبة بألحان مثيرة ومفعمة بالأمل ٠ غير أنها ليست كذلك ٠ ولأن هناك الحاناً غير مناسبة لا تتفق مع المشاهد على الشاشة تلقى كيفما اتفق فان المشاهدين لا ينفعلون بها ٠

وموسيقانا أيضاً متخلفة في الطريق وراء الواقع ٠ فهي عاجزة عن التعبير بصدق عن الحركة العظيمة للأمام لشعبنا الذي ينطلق قدما مثل الريح ٠ فليس هناك اغان جديدة جيدة وضعت لأجل فرسان التشوليما كي تغنى بقوة ومرح ٠ ان المياه الزرقاء تجري عبر الجبال والأنهار لتبلل حقول الارز والحقول الجافة ، والجرارات واللوريات تعمل في الحقول وتحمل الاثقال بدلا من الايدي والاقدام البشرية ، ومع ذلك فنحن لا نسمع أغنيات نابضة بالحياة وجميلة تتغنى بهذا التغير الذي صنع عهداً جديداً في الريف ٠

فالملحمة الموسيقية الراقصة — وطننا المجيد — بالفعل عمل كبير ٠ ولكنها مزيج من عدة الحان ٠ وليست عملا واحداً كبيرا ٠ ولا محل للرضا بالمرة لمجرد أن عملا كهذا قد خلق ٠

والاغاني يجب أن تلحن بحيث تلائم عواطف الشعب ٠ فعندما تكون احدى المعارك مستعرة ، فان ذلك يستلزم أغنيات تناسب المعركة ٠ وحينما يجري اداء العمل ، فان ذلك يستلزم اغنيات مناسبة للعمل ٠ والاغنيات التي تغنى عند نقل شتلات الارز يجب أن تكون مختلفة عن تلك التي يترنم بها عند رفع أحمال التراب أزواجا ، مع أن كليهما أغنية عمل ٠ وهكذا ، فقط حينما تغنى أغاني ملائمة لمناسباتها ، يمكن للجنود أن يقاتلوا ببسالة ، وللعمال والفلاحين أن يزيدوا الانتاج ٠ فلا يمكن أن تكون هناك أغنية واحدة تناسب جيدا كل زمان ومكان ٠ وانما فقط تلك الاغنيات التي تعكس روح العصر وتناسب الظروف المعينة هي التي يمكن أن تروق للشعب ٠

وهذا ليس الوقت الذي تغنى فيه فقط أهازيج تفتح زهرة الكمثرى ٠ فنحن اليوم أكثر من أي وقت مضى ٠ نحتاج الى اغنيات مرحة ومثيرة ، تستنهض همم الجماهير للعمل الخلاق ٠ فعندما يغني الناس أغنيات مشجعة مثيرة ينسون ارهاقهم وتعبهم ٠

والناس شغوفون بلحن مارش التشوليما لأنه يعكس روح عصرنا ويتمشى مع عواطفه ٠ وأغنية جديدة تنساب من القرية عبر النهر التي تغنى بالطريقة التي يغنون بها أهازيج المحافظات الغربية تروقني ٠ فهي لها لكنة كررية ، وتشجعنا عندما نسمعها ٠

وأغنية النساجين ، وأغنية جانب البئر أيضا أغنيتان جميلتان ٠ بيد اننا لا نستطيع ان نغني فقط هذه الاغنيات طول الوقت ٠ وانما يجب أن يكون لدينا أغنيات جديدة ٠ ولكننا عندما نسمع كثيرا من الاغنيات الجديدة التي لحنت أخيرا مثل أغنية عمال الصهر أو أغنية عمال الآلات لا نحس بأي شيء جديد ، لانها كلها ترجيع لأنغام قديمة بطريقة أو أخرى ٠ ولا مجال كبير للتمييز بين ألحانها ٠

ان في الاغاني ايضا الشيء المهم هو المضمون الايديولوجي ٠

فالأغنية لأجل الاغنية لا جدوى من ورائها ٠ والاغنية التي تتغنى فقط بجمال الطبيعة أيضا قليلة القيمة ٠ حقيقة ان الأغنيات التي تشدو بجمال الطبيعة تسر الناس ، ولكن أكثر منها قيمة تلك الأغنيات التي تقدم تعبيرا عن الحياة الاجتماعية انما هو تعبير عن المذهب الطبيعي أو مذهب الفن للفن ، وهو يؤثر تأثيرا ضارا على الشعب العامل حتى يتخلى عن الكفاح ٠

والشعب يحب الأغنيات ذات المستوى الايديولوجي الرفيع ٠ فقط تلك الأغنيات التي يقبلها الشعب ، ويحبها ، ويغنيها بسرور هي التي تكون مفيدة ٠ فما هي فائدة أغنيات لا يفهمها سوى عدد قليل من المختصين أو ما اشبه ٠ ان وجهة النظر الايديولوجية ان الفن لا يمكن يفهمه الا المختصون خاطئة من أساسها ٠

والناس هم النقاد الحقيقيون للفن ٠ وليس هناك ناقد أكثر حكمة من الشعب ٠ فالاعمال التي اجتازت امتحان الشعب يجب أن ينظر اليها باعتبارها أعمالا جيدة ، وتلك التي لم تفعل يجب اعتبارها أعمالا سيئة ٠ ان الروايات ، والشعر ، والموسيقى ، والسينما ، وكافة أشكال الفنون الاخرى يجب أن تكون مفهومة لدى جماهير الشعب وأن تخدمهم ٠

وهناك بالتأكيد نواقص في عمل أدبنا وفننا في الوقت الراهن ٠فشعبنا كله ينطلق قدماً بروح فرسان التشوليما٠ ولا يوجد سبب يدعو لأن يكون كتاب السناريو أو المؤلفون الموسيقيون وحدهم هم المتخلفون الى الوراء ٠ ان كتابنا وفنانينا أيضا يجب ويمكنهم أن يمتطوا صهوة التشوليما لكي يبدعوا ما يمكن في هذا الفرع ٠

والعيوب الرئيسية في عمل الادب والفن هي أولا أن الكتاب والفنانين مازالوا لم يدركوا بعمق سياسات الحزب، وثانياً ، أن الكتاب والفنانين يقصرون في الغوص الى أعماق حياة الشعب ، وثالثاً ان العمل التنظيمي والتوجيهي في هذا الفرع ضعيف ٠

فكل كتابنا وفنانينا يريدون لشعبنا أن يبني الاشتراكية بشكل أسرع وأفضل حتى يمكنهم أن يعيشوا في سعادة أكبر وهم يؤدون حركة التشوليما لشعبنا ،ومع ذلك فان روح التشوليما لم تتجسد جيدا في النشاطات الخلاقة للكتاب ٠وهذا بعد كل شيء دليل على أن كتابنا لم يتقبلوا بالكامل بعد روح التشوليما ، وانهم لا يتنفسون نفس الهواء الذي تتنفسه جماهير الشعب ٠ فلو أنكم تقبلون بروح التشوليما ،لوجب عليكم أن تقدموا أعمالا تعبر عن نفس الروح ٠

وأول كل شيء أعتقد أن كتابنا وفنانينا يحتاجون الى اجراء دراسة جادة لتحديد الجذور الايديولوجية لفشلهم في ادراك روح العصر كما ينبغي ٠ ويبدو أن المشكلة أن كتابنا ليس لديهم ، بعد كل شيء ،ادراك عميق لسياسة الحزب ٠

أن طليعة شعبنا هي الحزب٠وبدون معرفة نوايا الحزب جيدا يكون من المستحيل توفر فهم سليم لحركة شعبنا العظيمة للامام ٠ والمرء لا يمكنه حقا أن يفهم واقعنا بمجرد الذهاب الى المصانع أو الريف كيما اتفق بدون أن يدرس بعمق سياسة الحزب ٠فأولئك فقط المسلحون بقوة بسياسة حزبنا هم الذين يمكنهم التمييز بين الجديد والقديم ،وتبين الاشياء الحيوية من وسط تعقيدات الواقع ٠ومن ثم،فان على الكتاب والفنانين قبل أي شيء آخر أن يجروا دراسة عميقة لسياسة الحزب حتى يتفهموا موقفه الثوري ، وموقفه الماركسي اللينيني العلمي ، وأساليبه فيما يتصل بالواقع ٠

ولا ينبغي لادبنا وفننا بحال من الاحوال ان ينفصلا عن مصالح الثورة وخط الحزب ،كما لا ينبغي أن يسمحا بوجود تلك العناصر التي تغذي أذواق وهوى الطبقات المستقلة فالادب والفن الثوريان القائمان بالكامل على أساس خط وسياسة الحزب ،هما فقط اللذان يستطيعان أن يحظيا بحق جماهير الشعب ،ويصبحا سلاحا حزبيا قويا لتربية الجماهير العاملة بالروح الثورية للشيوعية ٠

ان كل خطوط وسياسات حزبنا قد انطلقت من وقائع بلادنا ، وهي تعبير عن مصالح شعبنا ٠وسياسة الحزب تتجسد في الحياة الفعلية من خلال الكفاح العملي للجماهير الكادحة ٠ وفقط ،الادب والفن المولودان من الواقع ،والمرتبطان ارتباطا وثيقا بالنشاطات العلمية للجماهير يمكنهما ان يصبحا ادبا وفنا حزبيين بحق وثوريين بحق ٠ وفقط ، الاعمال الواقعية للادب والفن التي تقدم تصويرا حيا وعميقا للحياة العملية هي التي يمكنها أن تروق لقلوب الشعب ٠

ومن ثم ، فعلى الكتاب أن يعرفوا الوقائع جيدا ،وأن يغوصوا عميقا في حياة جماهير الشعب ٠

وطالما ظل الكتاب والفنانون جالسين في بيونغ يانغ ، فان شيئا لن يحدث ٠فالحياة والصراع اللذان يحركان عواطف الشعب لا يمكن للمرء ان يراهما الا عندما يذهب الى المصنع ولا يمكن حسهما الا عندما يذهب الى الريف ٠ولا يمكن الحصول على معرفة جديدة بالواقع الا عندما تكونون على صلة مستمرة بالعمال والفلاحين ، والغوص عميقا في حياتهم ٠

ان عليكم أن تلاحظوا بعناية حياة العمال والفلاحين، ولكن الملاحظة وحدها غير كافية ٠ فكتابنا وفنانونا يجب أن يقتحموا بجرأة لهب كفاح العمال والفلاحين ، وأن يكتسبوا القدرة على رؤية الحياة الفعلية بنفس المشاعر التي لدى العمال والفلاحين المناضلين ٠ حينئذ فقط يمكنهم أن يسموا كتاباً وفنانين مارسوا حياة شعبنا ، حينئذ فقط يمكنهم أن يبدعوا أعمالا تحظى بحب الجماهير الشعبية وتخدمهم ٠

فبدون معرفة حياة الشعب جيدا لن يكون في وسعكم ان تصوروا بصدق واقعنا أو أن تصوروا بشكل سليم تفكير وعواطف وقسمات انسان اليوم الجديد ٠

ان شباب اليوم يختلفون عن شباب الماضي ،والشيوخ أيضاً ليسوا مثل الشيوخ في سالف الأيام ٠ ولن يستطيع الممثلون أن يصوروا بشكل سليم الناس الجدد الذين يتغيرون ويتطورون باستمرار الا اذا نقبوا عميقا في الواقع ٠

والذي يجب أن يهتم به اليوم كتابنا وفنانونا بنوع خاص عندما ينزلون الى المصانع أو القرى الزراعية هو أن يكتشفوا الطراز الجديد من الناس وأن يجروا دراسة جيدة مفصلة لحياتهم ٠فلو أن كتابنا صوروا صورة جيدة للحياة السعيدة الجديرة بالتقدير لاحد فرسان التشوليما ،لكانت هذه مادة جيدة لتربية الآلاف وعشرات الالاف من الشعب العامل ٠

ان حزبنا في الوقت الحاضر يبذل جهودا عظيمة لتربية واعادة صياغة الجماهير ٠ والتربية المدرسية أو الدعاية والاثارة وحدها ليست كافية لهذا الغرض ٠وانما فقط بحشد كافة أشكال الادب والفن مثل الروايات ،والشعر والمسرحيات والسينما ،والموسيقى التي هي وسائل ممتازة ــ التربية الجماهيرية ــ يمكنكم ان تمارسوا بفاعلية تربية واعادة صياغة الجماهير ٠

وبنوع خاص ، فان تلك الاعمال التي تصور فرسان

التشوليما وسائل جيدة جداً لتنفيذ سياسة الحزب لتربية الشعب ،فبينما كان التركيز في الماضي في تعليم الشعب على نقد الظواهر السلبية ،فان المكان البارز الآن يجب أن يكون للأمثلة الايجابية ٠

وقد أوقفنا أيضا نشر المقطوعات الهجائية في الصحف٠ فالمقطوعات الهجائية عادة تستورد من الخارج ٠وهي لا تتفق تماماً مع الحساسية المفرطة للكوريين ٠ونحن قد القينا بها في صندوق قمامة الجمود العقائدي لأنها اسلوب في التربية يتألف فقط من التقاط عيوب الناس٠فصحفنا تحمل حقائق نموذجية ووقائع مؤثرة تستحق المديح بدلا من الهجاء مربية الشعب بواسطها ٠

وعقب اجتماع مارس ١٩٥٨ الكامل للجنة المركزية للحزب الغي نظام في الحبس جيشنا الشعبي ، واعيد النظر في كافة الاحكام الداخلية ٠

فقد كان نظام الحبس هذا لا يتفق مع شعبنا ٠فالشعب يجب أن يربى ليس بالوسائل القسرية،وانما بالاقناع الدؤوب والمثل الايجابية ٠

فماذا كانت نتيجة الغاء نظام الحبس ؟منذ وقت مضى زرت وحدات الجيش الشعبي ،وكان لي أحاديث مع الجنود٠ وفي ذلك الحين سألت رقيبا اول ما اذا كان هناك اي خروج على الانضباط بعد الغاء نظام الحبس ،فأجاب أنه لا يوجد ٠ فسألت : كيف يمكن انه لم يحدث ولو حالة واحدة للخروج على الانضباط طوال عامين؟وعندئذ اعترف انه حدثت حالة واحدة من هذا النوع ٠مجند اعتاد أن يغفو اثناء كل اجتماع٠ ولذلك فان الرقيب الاول ،ظناً منه أن هذا لأنه لا يترك رجاله ينالون راحة كافية ،أخذ يرسلهم للنوم مبكرا ٠ وقال أنه بعد ذلك لم يحدث ان غلب عليه النوم أي رفيق بالمرة أثناء الاجتماعات٠ وفيما بعد زرت لواء معينا على الشاطىء الشرقي وسألت نفس الشيء فأجابني أحد الضباط انه حدثت حالة واحدة للخروج على الانضباط ،حيث كما قال ،أعتاد أحد المجندين أن يتسلل سرا بالليل للخارج ليرى فتاته ثم يعود٠ فقلت انه لو كان العاملون السياسيون قد غاصوا عميقاً في حياة الجنود وحرصوا على حل المشاكل التي تقلقهم في حينها لكان من الممكن منع هذه الحالة للخروج على الانضباط سلفاً٠ فالناس معرضون لارتكاب الاخطاء وابداء النواقص لان كل واحد لديه بقايا من الافكار القديمة ٠ وانه لأمر مناف لسياسة حزبنا أن يتخلى عن أولئك الناس ذوي الأفكار العقيمة والذين يرتكبون أخطاء ٠فقد اتبع حزبنا بثبات سياسة اعادة صياغة الناس ذوي الأفكار العقيمة الى أناس جدد من خلال العمل التربوي الدؤوب ٠

ان المجتمع لا يمكن أن يبنى بقوة رجل واحد او رجلين غير عاديين ٠ فلكي يبني مجتمع يستطيع فيه الشعب العامل كله أن يحيا حياة وفرة،يجب أن يجذب كل واحد الى النشاط وعلينا أن نواصل تربية وصياغة الشعب العامل حتى يمكنه أن يتقبل قضيته هو ، ويكافح متطوعاً في سبيلها ٠

وفي ظل نظامنا الاجتماعي اليوم يستطيع كل شخص أن يصبح انساناً شيوعياً جديدا٠وفي ظل نظامنا يكون المرء الذي يتبع الدرب الخاطىء استثناء ،والاغلبية المطلقة على الدرب السليم٠لذلك ساعدوهم قليلا ،وسيمكنهم جميعا أن يصبحوا شيوعيين رائعين ٠ وما لم تعد صياغة كل واحد وفق الخطوات الشيوعية بهذه الطريقة ، فان الانتصار الكامل للاشتراكية لا يمكن ان يتحقق ، والمجتمع الشيوعي لا يمكن أن يشيد ٠

وفي بلادنا تأخذ طريقها الآن حركة جماهيرية لتربية الشعب واعادة صياغته ٠ وحتى الفتيات الصغيرات قد خرجن ليتعلمن ويعدن صياغة الشعب،معلنات بثقة أن يمكن ان تعاد صياغته فيما عدا الاعداء الطبقيين ٠

وهكذا ، فحتى الجانحون الميؤوس منهم في بلادنا تعاد صياغتهم الآن ٠ بل أن هناك حالة لزوجة تاجر أعيدت صياغتها ثم أصلحت زوجها الذي كان في أحد دور التأهيل فقد كانت تزور زوجها مرة كل اسبوع للتربية ، وكانت النتيجة أن التاجر أصبح تائبا عن اثامه ، ووصل اخيرا الى حد أنه أبلغ زوجته أين دفن عدة خواتم ذهبية وأشياء أخرى من الذهب وقال لها انها يجب أن تخرجها وتقدمها للدولة ٠

فعندما نرى أنه حتى الناس الذين قد ارتكبوا جرائم خطيرة يمكن كلهم أن تعاد صياغتهم على هذا النحو ، فانه يكون غنياً عن البيان أن أولئك الجامحين قليلا يمكن تربيتهم واعادة صياغتهم ٠

وفيما يتصل بأسر الذين فروا الى الجنوب ،فان الحزب يتبع سياسة قبولهم وتربيتهم واعادة صياغتهم جميعاً فيما عدا حفنة من العناصر البغيضة٠كذلك فان الحزب قد انتقد بشدة موقف الشك بلا مبرر في أسرى الحرب العائدين ، ويوجه الشعب الى معاملتهم بحرارة ٠ فالرفيق جين أونغ وان ،وهو صاهر معادن في مصنع غانغ سون للصلب ،أسير حرب عائد ،وهذا الرفيق ليس الا ذلك الرجل الذي بادر بحركة فرق عمل التشوليما ٠وقد ساند الحزب بنشاط المبادرة الرائعة للرفيق جين أونغ وان ٠واليوم فقد قامت حركة فرق عمل التشوليما ، وهي تنتشر مثل النار في الهشيم في البلاد بأسرها ، دافعة بقوة البناء الاشتراكي لشعبنا ٠

ان تربية وتحويل الشعب لمهمة نبيلة على عاتق الكتاب والفنانين ٠ فعلى كتابنا وفنانينا أن يربوا ويعيدوا صياغة المتخلفين في صفوفهم ،وأن يحولوهم الى جنود رائعين لحزبنا في حقل الادب والفن٠وعلى كافة الكتاب والفنانين أن يصوروا ـ وبذلك يعطوا حافزا أقوى ـ الحركة الجماهيرية لشعبنا الذي يربي ويعيد صياغة الرجال وهو متحد كرجل واحد

عقلا وروحاً ٠كلما نفذ هذا العمل لتربية واعادة صياغة الناس بنجاح أكبر ،كلما كشف شعبنا عن قوة أكبر في كافة ميادين البناء الاشتراكي ٠

ان شعوب العالم ترقب الآن باعجاب كفاح شعبنا وهو يبني الاشتراكية بسرعة التشوليما ،وهم تواقون الى معرفة سر انتصار شعبنا،وعلى كتابنا وفنانينا أن يظهروا بوضوح من خلال أعمالهم أين يوجد منبع قوة شعبنا ٠

ان السبب في عدم وجود تقدم كبير في حقل الادب والفن يرجع أيضا الى العيوب في المجال التنظيمي والتوجيهي ٠ ويبدو أن القيادة الحزبية ضعيفة ،وأن الخط الجماهيري لا ينفذ جيدا في هذا الميدان ٠

فوزارة التربية والثقافة ـ بينما تمارس السيطرة بأساليب ادارية ،فانها تهمل عملها السياسي وسط أولئك المشتغلين بالادب والفن ٠ ولقد سمعت أن وزير التربية والثقافة يفحص السناريوهات بنفسه ٠ ولكن هذه ليست طريقة مجدية لتقويم الامور ٠ فالوزير قد يفحص السيناريوهات أحياناً ٠ولكن هذا عمل من أعمال الكتاب ابتداء ٠وعلى وزير التربية والثقافة أن يمارس عملا سياسياً كافياً لتجنيد الحكمة الجماعية للكتاب والفنانين ،بدلا من اعطاء التوجيه الاداري ، شاغلا نفسه بمشاكل فردية ٠

ويبدو انه من الضروري ادخال بعض تغيرات في نظام التوجيه لميدان الادب والفن ٠ وسوف يكون جيدا أن يشكل تنظيم اتحادي يغطي كافة فروع الأدب والفن ،وعلى الحزب أن يسدي التوجيه المباشر ٠ ويبدو من الضروري أن نوحد جماعات الكتاب والمؤلفين الموسيقيين والراقصين ، الخ ، في الاتحاد العام للأدب والفن كما كان من قبل ، لكي نجعلهم يشتغلون بشكل جماعي تحت قيادة الحزب ٠

وفي الوقت الحاضر لا تتلقى مختلف الفروع تربية متبادلة ونقداً متبادلا ، وكل منها يسير في طريقه ٠ وأي فرع من فروع الادب والفن يعمل وحده سيكون عاجزا عن رؤية نواقصه الخاصة ٠ فالشيء الخطأ لايمكن أن يكتشف الا بواسطة الآخرين ٠فالمؤلف الموسيقي يعتقد أن عمله هو أحسن الاعمال ،ولكن عندما يستمع الآخرون له يمكنهم أن يكتشفوا النواقص التي لايدركها المؤلف الموسيقي ويمكنهم أن يسدوا نصيحة جيدة ٠

ومن الضروري تنظيم الندوات بين الحين والحين ، وسيكون طيبا أن يدعى العمال والفلاحون والطلاب أيضا الى الندوات ٠ويبدو أن الكتاب يعقدون مثل هذه الندوات مرات أكثر ،ولكن المؤلفين الموسيقيين لا يفعلون ٠ والعمال والفلاحون يمكنهم أن يقدموا اقتراحات جيدة حول الأغاني أيضا ٠

والادب والفن لايمكن أيضا أن يتطورا بسرعة الا اعتمادا على قوة الجماهير ، فقوة عدد قليل من المحترفين لن تأتي بنتيجة ٠

ومن الضروري أن يكون هناك مراسلون في كل مكان ٠ فحيث أن المراسلين يعيشون دائما وسط الجماهير ، فانهم يمكنهم أن يكتبوا أعمالا قد تكون أفضل من الكتاب المحترفين الملازمين لغرف مكاتبهم ٠ ان هناك كثيرا من خريجي المدارس المتوسطة والكليات يعملون في المصانع ٠ فقدموا لهم معونة قليلة وسوف يكونون أيضا قادرون على كتابة المؤلفات الادبية ٠ ان الفكرة الخاطئة أن الكتاب المحترفين وحدهم هم القادرون على كتابة السناريوهات يجب أن تطرح جانباً ٠

كذلك فان وجهة النظر القائلة ان المحترفين وحدهم هم الذين يمكنهم تأليف الموسيقى خاطئة ٠ فالعمال أو الفلاحون يمكنهم جميعا أن يكتبوا موسيقى ٠ والمؤلفات الموسيقية التي يكتبها العمال والفلاحون ممن ليس لديهم تدريب كاف في الموسيقى قد يكون فيها عيوب تتصادم مع المعايير الموسيقية ٠ فاذا صححت هذه العيوب بواسطة المحترفين، فانها ستكون على مايرام.

وكما تعرفون جميعا فانه يوجد الآن مقطوعات درامية وأعمال أخرى من ابداع الحلقات المحلية للفنانين الهواة أفضل كثيرا من تلك المنتجة في العاصمة ٠ وتوجد أيضا أعمال رائعة جدا بين تلك التي يخرجها معلموا المدارس في المناطق الريفية ٠ ان ذلك لأن هذه الاعمال قد ولدت من الحياة الحقيقية ٠

ان كثيرا من الأغنيات التي غناها رجال حرب العصابات ضد اليابان كانت من انتاج رجال حرب العصابات أنفسهم ٠ وهم بالتأكيد لم يكونوا فنانين ،ولم يدخل أحدهم معهدا موسيقيا ٠وكثيرون منهم كانوا شبابا عاملين ليس لديهم سوى معرفة خريج مدرسة متوسطة على أحسن الفروض ٠ ولم يكن هناك سوى عدد قليل من خريجي الكليات ٠ والأغاني الثورية التي نغنيها اليوم هي التصوير الطبيعي والصادق لما كانوا يحسون في حياتهم وكفاحهم ٠

كل هذا يشهد على حقيقة أنه لايوجد شيء غيبي حول كتابة السيناريوهات او الموسيقى وأنه ليس فقط من الممكن للعمال والفلاحين أن يشاركوا في الابداع الادبي والفني، انما انه بدون مشاركتهم النشطة لايمكن أن يكون هناك ازدهار لفن شعبي حقيقي ٠

ان لدينا كثيرين من الكتاب والفنانين الموهوبين ٠فلو ان جميع الكتاب والفنانين بذلوا جهودا مخلصة تأييدا لقيادة الحزب ،فسيكونون قادرين على أن يطوروا بسرعة أدبنا وفننا ليتلائم مع عصرنا ٠

وعلى الكتاب الذين جمعوا كثيرا من الخبرة في النشاطات الادبية والفنية أن يقفوا بأشخاصهم في الطليعة ،وأن يقودوا الشباب الى الامام ٠ انهم بالتأكيد يجب أن يعيروا أذنا مفتوحة للشباب أيضا ٠ ويجب أن يجروا بحيوية المناقشات الجماعية ويعطوا مساندة نشطة لكافة الاراء البناءة ٠

ان الحزب سوف يفعل كل ما في وسعه ليساعدكم في عملكم ،واني لارجو مخلصا انكم سوف تحققون تحولا صانعاً لعهد جديد في تطور الادب والفن ، حيث تشنون كفاحا أكثر نشاطا لتنفيذ سياسة الحزب في الادب والفن ٠

رسائل الاصدقاء

أبيات مهداة الى الاستاذ الاديب حسان الكاتب صاحب الموسوعة الموجزة

حسان يا قلما يسجل مجدنا — ليضيف أمجادا الى أمجاد
في كل حرف مرجع يهدي الورى — ويذكر الاحفاد بالاجداد
في كل جزء رحلة ميمونة — منها نعود بطارف وتلاد
قالوا الحسام سبيلنا لخلاصنا — من معتد متطاول جلاد
قلت الحسام سبيلنا لكنه — رهن بما للفكر من ارشاد
فالرأي يرسم للحسام طريقه — والفكر خير ذخيرة وعتاد
والبيت لا يبنى بدون مخطط — والصرح لا يعلو بغير عماد
أحسنت يا حسان في موسوعة — حققت فيها مطلب الرواد
كم أطربت متعلما متتبعا — وغدت له زادا وأطيب زاد
فانعم بها واسلم لكل مواطن — يفديك اذ تحيي تراث الضاد

عبد المجيد النجار

الى صاحب الموسوعة الموجزة

أسطر التاريخ في أحداثه — ومخلد الاعلام في آثارها
حققت شيئا معجزا بأمانة — في مثلها شقي الامين بنارها
وبعثت بالقول المبين أئمة — ماتوا وقد عبثت البلى بديارها
ورفعت من قدر الجهابذة الاولى — بشواهد شهدت على أقدارها
نزهت عن زيف يراعك معرضا — عن عصبة رتعت بفحمة عارها
يتشادقون على الفهاهة والعمى — كضفادع في غيها وعثارها
لله أنت مدققا ومحققا — سبر الضمائر في دجى أغوارها
ما زلت تقطف ما انجلى من حكمة — حتى طلعت على الدنى بثمارها

عدنان مردم بك

الى الشاعر صالح درويش

ـ طفولة الابحار وعذابات المنفى ـ هذا ما شعرت به وانا اطوي اوراق مجموعتك الشعرية الاخيرة ـ الابحار .. في سفن الدهشة ـ الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وقد استقام بيانك الشعري على اعذب ايقاع متدفق يوازي سورة النفس، وبراءة الطفل امام الحدث . ونقاء النبع الدافق من سرة الجبل، ولقد تجاوزت بها ذاتك. فأين عطاءك هذا من ـ فجر الكادحين ـ شرر ودم . ان صورك تتحرك في اطار الفاعلية الوجودية ويترسم الحلم الفردي في تقاطع مع الحلم القومي، ويتداخل عبر صورك احساسات الدهشة والتعجب والذهول مع ارادة التخطي والتمثل، ولقد أثارني اعترافك :

طفولتي حزن وترحال طويل
تشرد .. ودمعتنا وداع
وغيمة ما خطرت ببال
مرت على شواطىء المحال
ردت الى مولدها .. ردت الى الرمال

واعجبت اكثر من شجاعة الاعتراف ورغبة التوبة :

أغسلني يابحر ..
ياصديقي القديم
أغسلني بأمواجك
طهرني بغنائك
وأعد الي نقائي ..

وبراءتي .. وطفولتي

ولقد كانت قصيدتك ـ الدوار ـ اختزال المعاناة القومية داخل جيلنا في النصف الثاني من القرن العشرين واذا كانت الصعلكة في الماضي والتسكع في الحاضر قدر الشعراء .. فالظمأ والابحار قدرك ياصاحبي .

الشاعر انور الجندي ـ السلمية

قرأت في مجلة الثقافة الاسبوعية مقطوعتي ـ ميسون ـ واذا كان المثل ـ فرخ البط عوام ـ ينطبق عليها فان ملامحك الشعرية واضحة في المقطوعتين تؤكد ظلمك القاسي عليها اذ ان نظرتها الى الحياة . تختلف عن نظرتك بالضرورة . والحزن الذي وسم رؤاك الشعرية منذ البداية، ليس من الضروري ان يوسم رؤاها . والا يكون ذلك مرضا بالوراثة يا شاعري، فدع كريمتك تختار طريقها الشعري كما ترغب وتريد وان تعبر كيفما تستطيع، ولا تعاند في ذلك كما عاندت في مسألة نشر ديوانك الشعري، ولسوف تندم ذات يوم فالحظ لا يقرع باب الانسان اكثر من مرة ومن يشرب من ماء النهر مرتين . ؟

دمشق ـ عبد الكريم دندي